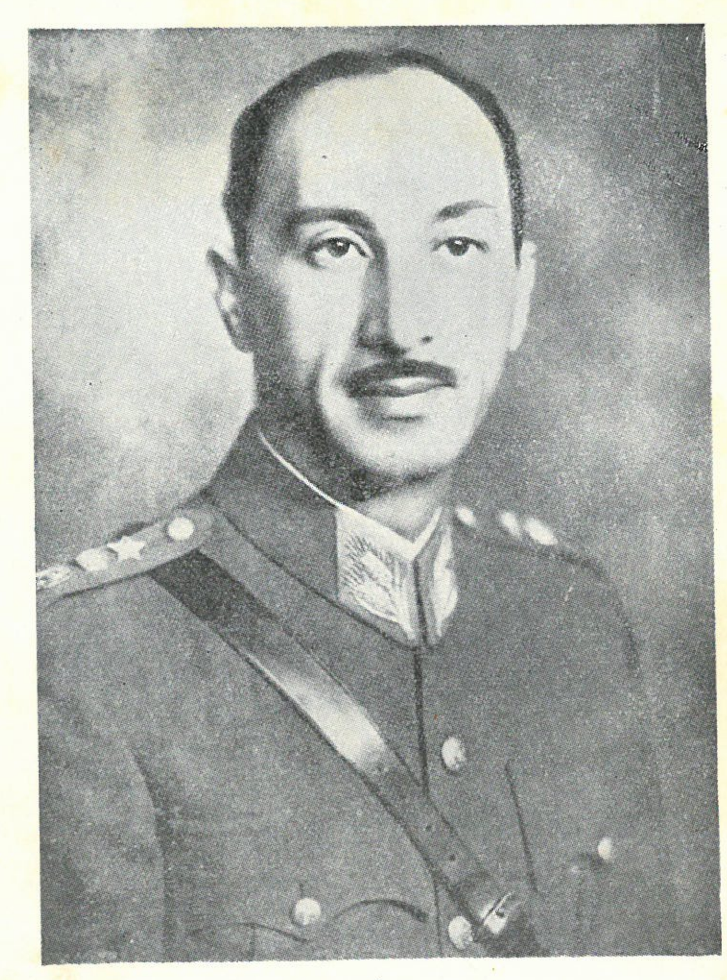


أفغانستان فى مقالات

تأليف: مجموعة من الكتّاب.

المفوضية الملكية الأفغانية - القاهرة



قائد النهضة الأفغانية الحديثة

حضرة صاحب الجلالة الملك المتوكل على الله محمد ظاهر شاه ملك أفغانستان

المتوكل على ا...

ملك أفغا...

حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظ...
– أطال الله عمره وسدد خطاه – ملك عسكرى ...
أغرم ببلاده ، ووهب نفسه لوطنه المحبوب ، ...
لخدمته ورقيه العلمى والفنى والاقتصادى .

وقد ولد جلالته فى ٢٢ ميزان ١٢٩٣ هجرية شمسية ...
اكتوبر ١٩١٤) فى مدينة « كابل » العاصمة الأفغانية ، وقد ...
العلوم فى مدارس أفغانستان ، حين كان والده قائداً عاماً للجيوش
الأفغانية ؛ فلما عين وزيراً مفوضاً لأفغانستان فى باريس ، اصطحبه
معه وألحقه بإحدى المدارس العليا فى باريس ؛ ثم عاد إلى بلاده
حين تبوأ المغفور له جلالة والده « محمد نادر شاه » عرش البلاد ؛
وهناك التحق بالكلية الحربية الملكية فى كابل مدة سنتين ، درس
خلالها العلوم الحربية ونظرياتها الحديثة ؛ ولما تخرج أخذ يساعد والده فى
إعداد الجيش الأفغانى الحديث . وقد تزوج جلالته فى عام ١٩٣١
وارتقى عرش البلاد فى ١٦ عقرب سنة ١٣١٢ هجرية شمسية
(٨ نوفمبر ١٩٣٢) بعد أن بايعه الزعماء والعلماء ووكلاء الشعب وجميع

المتوكل على الله محمد ظاهر شاه
ملك أفغانستان

حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » ملك أفغانستان — أطال الله عمره وسدد خطاه — ملك عسكرى ، وشاب فتى ، قد أغرم ببلاده ، ووهب نفسه لوطنه المحبوب ، ووقف وقته كله لخدمته ورقيه العلمى والفنى والاقتصادى .

وقد ولد جلالته فى ٢٢ ميزان ١٢٩٣ هجرية شمسية (١٢ اكتوبر ١٩١٤) فى مدينة « كابل » العاصمة الأفغانية ، وقد تلقى العلوم فى مدارس أفغانستان ، حين كان والده قائداً عاماً للجيوش الأفغانية ؛ فلما عين وزيراً مفوضاً لأفغانستان فى باريس ، اصطحبه معه وألحقه بإحدى المدارس العليا فى باريس ؛ ثم عاد إلى بلاده حين تبوأ المغفور له جلالة والده « محمد نادر شاه » عرش البلاد ؛ وهناك التحق بالكلية الحربية الملكية فى كابل مدة سنتين ، درس خلالها العلوم الحربية ونظرياتها الحديثة ؛ ولما تخرج أخذ يساعد والده فى إعداد الجيش الأفغانى الحديث . وقد تزوج جلالته فى عام ١٩٣١ وارتقى عرش البلاد فى ١٦ عقرب سنة ١٣١٢ هجرية شمسية (٨ نوفمبر ١٩٣٢) بعد أن بايعه الزعماء والعلماء ووكلاء الشعب وجميع

أفراد الجيش ؛ ومنذ ذلك التاريخ أخذت البلاد تخطو خطوات واسعة فى سبيل العلم والصناعة والتجارة ، وبفضل عناية جلالته تحقق كثير من المشروعات الهامة التى كانت ذات أثر بالغ فى النهضة الأفغانية الحديثة .

ولجلالته خمسة أولاد ، كبراهم الأميرة بلقيس ، وعمرها الآن ١٨ عاما ، وقد تزوجت منذ قريب بابن عم جلالته .

وأكبر بنيه الأمير أحمد شاه خان ، وعمره ١٥ سنة ، ويتعلم فى المدارس الحكومية الأفغانية .

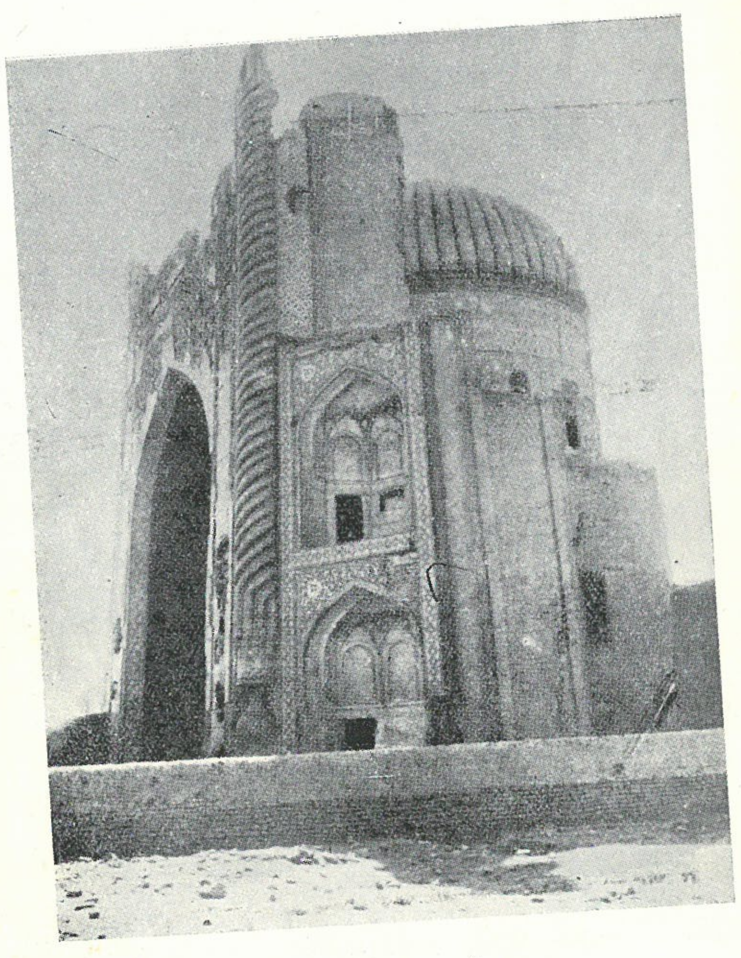
لقد عرف جلالة الملك محمد ظاهر شاه بالتفانى فى خدمة بلاده ، والله نسأل أن يسدد خطاه ويوفقه لما فيه خير بلاده وخير العالم الإسلامى والانسانية جمعاء .

تعريف موجز

بقلم محمد هارون المجددى

أفغانستان : هى أكثر بقاع الشرق ارتفاعاً بعد تبت ، وهى بلاد متسعة من قارة آسيا ، بين خطى طول ٦٠° ، ٧٥° تحدها غرباً إيران ، وشمالا بخارى والصحراء التركمانية ، وجنوباً بلوخستان ، وشرقاً منطقة الحدود الشمالية الغربية فى باكستان . وجميع سكان هذه المنطقة الأخيرة أفغانيون دماً ولغة وتقاليد ، وقد كانت قبل ٦٠ عاماً جزءاً من أفغانستان ، ثم ضمت إلى الإمبراطورية الأنجليزية الهندية غصبا وعدواناً ، حين كانت أفغانستان ضعيفة وفى حالة عدم استقرار .

ومساحة أفغانستان سبعمائة ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها يربو على اثنى عشر مليونا من الناس ، وسطحها غير منتظم ، وهو مؤلف من هضاب مرتفعة ، وجبال عالية ، وأودية متسعة ، ومضايق جبلية ؛ ولذلك تشتمل أفغانستان على كل أنواع الأجواء ؛ ففى جبال (هندوكش) يتوج الثلج القمم الشامخة طوال العام ، فى حين ترتفع درجة الحرارة فى السهول إلى ما يقرب من ٤٠° والحرارة فى الجهات الشرقية أكثر ارتفاعاً منها فى الجهات الغربية ؛ والأرض حيث لا تكثر الصخور مخصبة جداً .



ضريح المرحوم خواجه محمد يارسا
من الآثار الهامة فى « بلخ »

ومن أشهر جبالها السلسلة الأولى لجبال (هندوكش) المشهورة ، وهى تمتد من أعلى (بامير) إلى الشمال الغربى لأفغانستان ، ومعظمها يبلغ فى الارتفاع ٦٦٠٠ متر ، وبها كثير من الأنهار : كنهر (آمون) الفاصل بين أفغانستان وروسيا ، وقد قسم الانتفاع بمياه هذا النهر بين الدولتين مناصفة ، ويستمد مياهه من جبال (هندوكش) و (بامير) ، فيخترق فى سيره ولايات (خان آباد) و (مزار) الواقعتين فى التركستان الأفغانية ؛ ثم يتجه نحو الشمال حتى يصب فى نهر (أورال) الواقع فى جهات (خوارزم) .

ومن أنهار أفغانستان نهر (هرى رود) ويخترق مدينة (هرات) ونهر (هيلمند) ، ونهر (فرارود) ، ونهر (كابل) ، وهو يخترق العاصمة الأفغانية .

نظرة تاريخية :

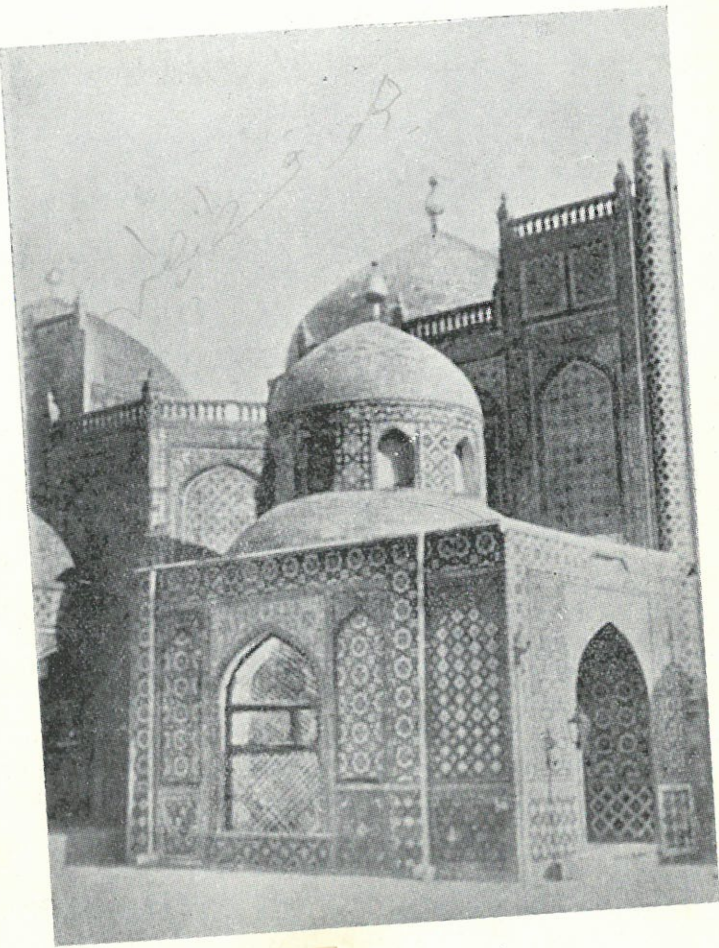
أفغانستان كانت تسمى قديماً (آريانا) وعرفت عند اليونانيين باسم (باكسيميا) و (أراكواى) ، وعند الفرس بـ (باروتا) وعند الهنود بـ (باه لمكا) ، وكان العرب يسمونها (خراسان) ؛ ولقد بقيت أفغانستان تحت حكم خلفاء بغداد إلى قيام الدولة الغزنوية التى أسسها السلطان « محمود الغزنوى » تلك الدولة العظيمة التى فتحت الهند ووطدت بين أرجائه دعائم الإسلام .

وفى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى حكمت أفغانستان دولة

تسمى الدولة الغورية ، وظلت أفغانستان تحت حكمها إلى أن أغار عليها « جنكيز خان » عام ١٢٢٥ الميلادى ، فحكمها المغول إلى سنة ١٥٠٦ الميلادية .

وهكذا تعاقبت على أفغانستان دول شتى ، إلى أن قيض الله لها ابنا باراً يسمى « أحمد خان » فحرر البلاد وتربع على عرشها سنة ١٧٤٧ م فوصلت أفغانستان فى أيامه إلى أسمى درجات النجاح والعظمة ، وامتد ملكه من خراسان إلى دهلى ؛ وكانت وفاته عام ١٧٧٣م ثم خلفه أبناء لم يكونوا أهلا للحكم ، فاضطربت الثورات الداخلية فى البلاد ، وظلت تتنازعها الفتن حتى تربع على عرشها الأمير « محمود » من نسل « احمد خان » المذكور ، فاستطاع أن يطفىء نيران الثورات ، إلا أنه اضطر أن يتنحى عن الملك عام ١٨٣٣م لأسرة معروفة فى أفغانستان هى أسرة (محمدزائى) التى لم تزل تتولى الحكم فى البلاد إلى الآن ؛ ولكن الحروب الداخلية لم تسكن ، فانتهزت انجلترا هذه الفرصة واستولت على كثير من أراضيها فى فترات عدة ، وضمتها إلى إمبراطوريتها الهندية . وأخيراً جلس على عرش البلاد الأمير (عبد الرحمن خان) جد الملك (أمان الله خان) فوحد البلاد وأطفأ نيران الثورات ، وعقد معاهدة ودية مع انجلترا تعهدت فيها انجلترا بعدم التدخل فى شئون أفغانستان الداخلية وعدم الاعتداء على أراضيها.

ولما تربع على عرش أفغانستان الملك « أمان الله خان » طلب من



أثر تاريخى هام فى «مزار»

انجلترا تعديل تلك المعاهدة على أساس الاعتراف بسيادة آفغانستان الكاملة واستقلالها التام فى أمورها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ؛ فلم ترض بذلك ؛ فأعلنت الحكومة الأفغانية الجهاد فى سبيل الوطن ، وخرج كل أفغانى يحمل سلاحه للذود عن كيان بلاده ، واستطاعوا بفضل الله أن يصدوا قوات الأعداء فى الجبهتين الشرقية والجنوبية الشرقية ، كما توغلوا فى الجبهة الجنوبية داخل الأراضى الأفغانية التى كانت قد ضمت إلى الإمبراطورية الإنجليزية الهندية من قبل غصباً وعدواناً ؛ وهكذا اضطرت إنجلترا للاعتراف لأفغانستان باستقلالها التام وسيادتها الكاملة .

بعض المدن التاريخية فى أفغانستان

١ — بلخ

لقد لعبت هذه المدينة فى الحركة العلمية الإسلامية دوراً هاماً منذ القدم ؛ ويتردد اسمها كثيراً فى كتب الفلسفة والتصوف ، لأن الأفكار الصوفية قد ترعرعت فيها ؛ وقد ظهر من الآثار المستكشفة فى هذه المدينة أنها كانت ذات أهمية كبيرة قبل الإسلام ، لاسيما فى عهد المملكة البوذية القديمة ، وربما كان ذلك سبباً لازدهار الأفكار الفلسفية والصوفية فيها .

وقد كانت « بلخ » ذات مكتبات علمية عدة ، وكان يدرس فى مدارسها التاريخ والطب والكيمياء والرياضة والفلسفة ؛ كما أنجبت كثيراً من العلماء والفلاسفة ، نذكر منهم :

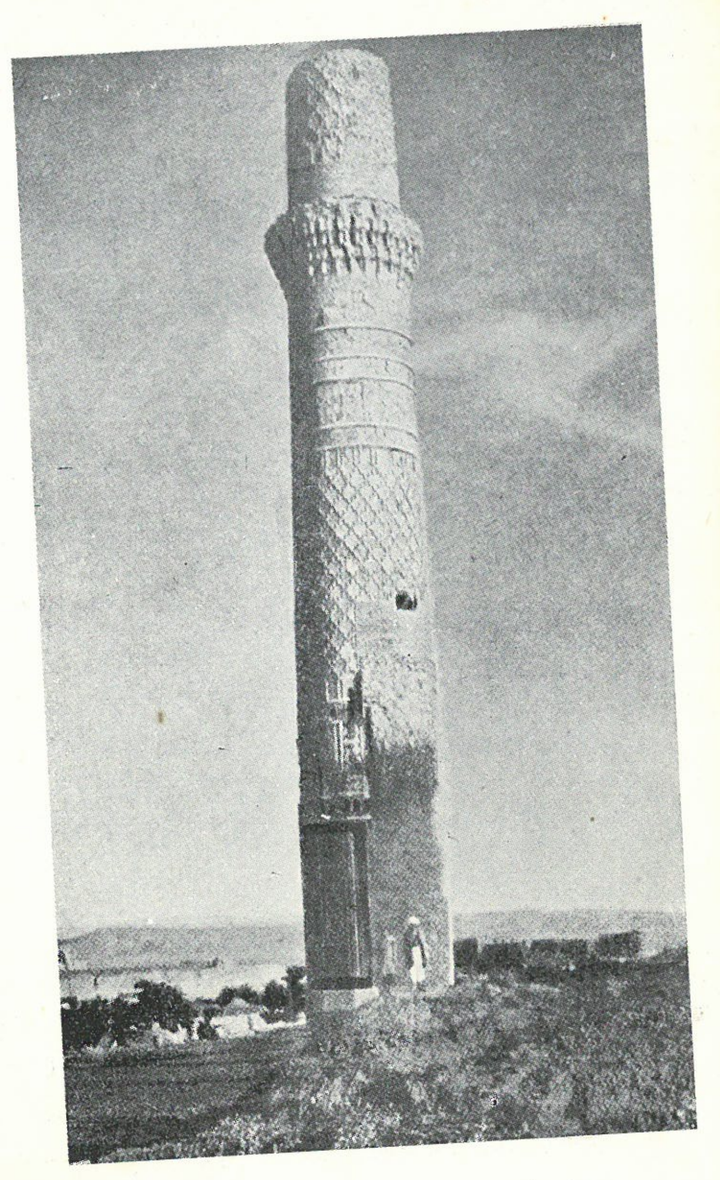
١ — الشيخ إبراهيم بن أدهم ، وقد كان من أمراء بلخ ومن كبار المتصوفة فيها، ويمكن الرجوع إلى تاريخه فى طبقات الصوفية وغيرها من الكتب .

٢ — الرئيس ابن سينا الذى يعد أكبر فيلسوف إسلامى .

ب — غزنى :

وقد كانت مركزاً هاماً للعلوم والصناعات ،وانتقل إليها علماء الدولة السامانية ومفكروها بعد قيام الدولة الغزنويه ، لما اشتهرت به من حبها للعلماء وتشجيعها للمفكرين ورحابة صدرها لتقبل الآراء الحرة والأفكار المتباينة ؛ وقد كثر العلماء فى « غزنى » بعد فتح السلطان (يمين الدولة الغزنوى) لخوارزم .

يقول صاحب تاريخ العتبى : إنه كانت فى جامع « غزنى » مكتبات ودور للتأليف . ويذكر غيره من المؤرخين أنه كان يوجد فيها ما يربو على ألف وخمسمائة مدرسة ومكتبة أيام السلطان محمد الغزنوى . والفردوسى قد ألف كتابه المشهور « شاه نامه » بفضل تشجيع هذا السلطان له ومنحه أياه العطايا والهبات الكثيره ؛ وقد حذا ابنه حذوه فى تشجيعه للعلم والعلماء؛ وتعتبر الدولة الغزنوية واضعة أسس الثقافة



منارة (مصلى هرات) من آثارها التاريخية الهامة

الفارسية الحديثة والأدب الفارسى .

وهناك مدن أخرى لها مكانة تاريخية وتعد اليوم من أكبر المدن الأفغانية : مثل هرات ، وقد فتحت فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وقندهار منبت الأسرة المالكة ، وجلال آباد ، وقطغن ، ومزار .

* * *

لقد كانت أفغانستان درة التاج المغولى ؛ فبوساطة الأفغانيين فتح المغول البلاد الهندية للمرة الثانية ، بعد فتح السلطان محمود الغزنوى لها للمرة الأولى ؛ وبفضلهم كونوا إمبراطوريتهم العظيمة .

وقد ازدهرت معالم الحضارة فى أفغانستان زهاء سبعة قرون ، ساهمت خلالها فى تكوين الحضارة الإسلامية، وضربت بسهم وافر فى الإنتاج الفلسفى والعلمى ، وسجلت فى التاريخ الحربى معارك امتلأت بها أسفار التاريخ الإسلامى ؛ ثم طرأ عليها ما طرأ على البلاد الإسلامية من الجمود والخمول ، وقد أخذت الآن تستيقظ من سباتها وتستعيد ذكرياتها الزاهرة بإعجاب وفخر ، وتبنى حضارتها الجديدة على أسس تاريخها القديم وتقاليدها الإسلامية ؛ وهى جادة فى الاقتباس من مدنية الغرب والاستفادة من حضارته الجديدة ؛ فأنشأت المدارس المختلفة فى مستهل هذا القرن على الأسس الحديثة ، كما أنشأت المدارس المتوسطة والعالية وجامعة « كابل » ؛ ونشطت فيها الحركة الصناعية والتجارية ، ويعود الفضل الأكبر فى سير النهضة الأفغانية الحديثة على

أسس ثابتة ، إلى حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » حفظه الله وسدد خطاه .

إن لأفغانستان مواقف مشهورة فى ميادبن العلم ونشر الثقافة الإسلامية وتثبيت سلطان الإسلام ، منذ اعتنقوا هذا الدين الكريم الذى لاءم طبائعهم ووجدوا فيه مثلهم العليا التى تدعو إلى المساواة والعزة وتنفر من الخضوع والمذلة إذ كانت هذه الصفات هى ما أبرز ما يتحلى به الأفغانى ، ولذلك أخلصوا له إخلاصاً عميقاً قوياً ، واعتبروا أنفسهم حماته فى الشرق الأوسط .



القائد الأعلى للجيش الأفغانى
حضرة صاحب الجلالة الملك المتوكل على الله محمد ظاهر شاه يستعرض جيشه الباسل المخلص

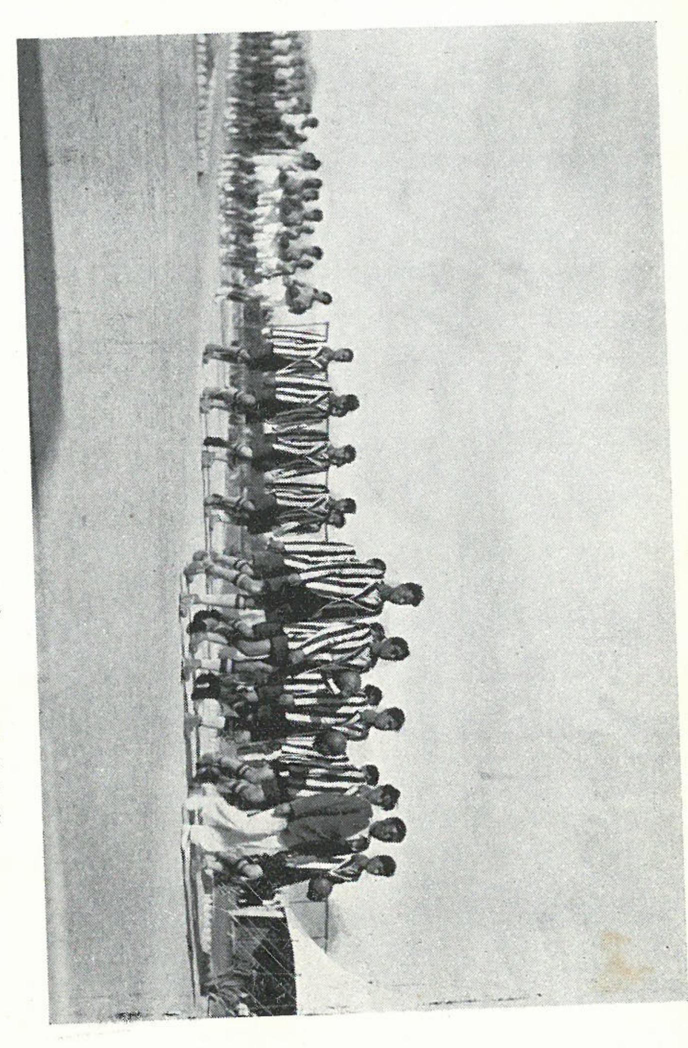
أفغانستان فى موكب الحضارة

ترجمه عن الأفغانية الأستاذ محمد إسحاق الفقيهى

أفغانستان : الجارة الغربية للهند ، هى المملكة الفتية التى بعد أن طوت مراحل عصيبة لا يخفى خبرها على أحد ، أخذت تخطو نحو الحضارة والرقى بخطى حثيثة ثابتة منذ سنين ، تحت قيادة حضرة صاحب الجلالة المغفور له الغازى محمد نادر شاه « الشهيد » وحضرة صاحب الجلالة محمد ظاهر شاه النجل الأرشد لذلك الراحل العظيم ؛ وما أكثر ما نقف عليه من أنباء رقيها يوماً بعد يوم ، مما ينشر بين دفات الكتب ، ومما يذاع على أمواج الأثير ؛ وعلى الرغم من قيام الحرب الأخيرة وما أثارته من المشاكل وما أوجدته من العوائق ، فإن أفغانستان لم تزل ماضية فى تنفيذ برامجها ، دائبة فى قطع مراحل التقدم والرقى بخطى ثابته لا تعرف الكلل ولا تأبه بالشدائد .

والهدف الأول للحكومة القائمة ، هو التعليم ، فلا عجب أن نرى حضرة صاحب الجلالة الملك محمد ظاهر شاه يوليه العناية كلها ويهتم به أشد الاهتمام ، ويعده أهم نقطة حساسة ينبغى أن يعنى بها ؛ والتعليم كما يرى جلالته هو العلاج الوحيد للأدواء الفتاكة .

ولقد تقدمت أفغانستان فى هذا المضمار تقدماً لم يعهد لها من



الفرق الرياضية للشباب الأفغانى الناهض تمر أمام جلالة الملك المحبوب .

قبل ؛ ويكفى إلقاء نظرة عابرة على الإحصاء الرسمى لوزارة المعارف ، لمعرفة مدى الرقى فى السنوات الأخيرة ، وللوقوف على مبلغ ازدياد المكاتب والمتعلمين فيها . ويوجد الآن فى كل قرية من قرى أفغانستان ، حتى الصغرى منها ، مكتب معد أحسن إعداد ، وقد اختير له مبنى مستقل بحيث تتوافر فيه الشروط الصحية ويكون مطابقاً للنظم العصرية الحديثة . . . وكما أننا نشاهد فى كابل ، عاصمة أفغانستان ومركز الجامعة الأفغانية ، حركة قوية جريئة فى العلوم والفنون ، نشاهد أيضاً فى المدن الكبرى مثل تلك الحركة ؛ فمدينة قندهار مثلا بها مدارس ثانوية وعالية تدرس فيها العلوم الحديثة واللغات الأجنبية .

أما « الجامعة الأفغانية » فتضم بين جوانحها كليات عدة ، منها كلية للطب ، وكلية للحقوق والعلوم السياسية ، وكلية للعلوم ، وكلية للتربية والآداب ؛ وهكذا ؛ وهى دائبة فى استكمال الكليات بأجمعها فى أقرب وقت ؛ ويجرى — الآن — العمل فى مبنى الجامعة الفخم بجد ونشاط .

وبجانب الجامعة الأفغانية نرى فى كابل مدارس عدة ؛ فهناك مدرسة الاستقلال ، ومدرسة النجاة ، ومدرسة الغازى ، ومدرسة الحبيبية ، وغيرها ، ويتلقى الطلاب فى هذه المدارس اللغات الأجنبية أيضاً ، حتى يتمكنوا من الالتحاق بجامعات العالم ، أو ينخرطوا فى سلك طلاب الجامعة الأفغانية .

يضاف إلى ما سبق مدارس عدة أسست أخيراً فى كابل للتخصص فى الأعمال الفنية ، مثل مدرسة الصناعات الميكانيكية ، ومدرسة التجارة المتوسطة ، ومدرسة الفنون الجميلة ، ومدرسة الزراعة المتوسطة ، ومدرسة الصيادلة .

أما فتيات أفغانستان فلهن مدارس داخلية خاصة ، منها كلية البنات المسماة هناك « مكتب عالى مستورات » ومدرسة خاصة للممرضات والمولدات .

وقد نالت « إدارة المطبوعات » أو بعبارة أخرى « إدارة إيقاظ الشعب وتنوير أفكاره » — أيضاً — عناية تامة من قبل حضرة صاحب الجلالة الملك محمد ظاهر شاه .

وقد أنشأت الحكومة هذه الإدارة فى كابل منذ سنين ، وسمتها « الرياسة المستقلة للمطبوعات » وهى فى الواقع أقرب إلى وزارة منها إلى إدارة ، وتسلك هذه الإدارة فى توجيه الشعب وتربيته وتنوير أذهانه شتى المسالك ، فهى تنشر ما يحتاج إليه الشعب فى الصحف، وتبث الوعاظ بين أفراد الشعب، وتقيم الاجتماعات المتتالية ، وتعنى بالفنون والموسيقى . . . وهكذا .

وقد تمكنت هذه الإدارة من القيام بأعباء إيقاظ الشعب وتنوير أفكاره خير قيام ، على الرغم من نشوب الحرب الأخيرة التى أثارت المشاكل وأوجدت الأزمات — وبخاصة أزمة الورق — ولم يقف

مجهودها عند مضاعفة ما تطبع وما تنشر ، بل وضعت أسساً متينة لتنظيم الجمعيات والمحاضرات والمواعظ . ولا ريب أن خير عمل قامت به هو إنشاء « دار الإذاعة » التي يراعى في إعداد برامجها تنوير الأذهان وتوجيهها . . . ففي استطاعة كل أفغاني اليوم أن يستمع إلى راديو محطة كابل ليتلقى الأنباء الداخلية والخارجية على وجه التفصيل ، وليشنف آذانه بالموسيقى على اختلاف أنواعها ، وإلى جانب هذا وذاك تذاع معلومات علمية مفيدة في التاريخ والجغرافيا والفنون والاجتماع و . . . بلغة سهلة مفهومة ، كما أنها أنشأت مدارس ليلية باسم « فصول الكبار » لتعليم الكبار الذين حرموا نعمة القراءة ، وقد تطوع في هذا المضمار عدد عظيم من رجال التعليم والتربية ، ومن مختلف أفراد الشعب المثقفين ، وأخذوا يعلمون الشعب في المساجد والجوامع على أحدث طرق التربية المعروفة .

كما خصصت جوائز قيمة للمؤلفين والمترجمين ، وقد بدأت منذ حين في نشر ما توفر لديها من المؤلفات . وقد استقبل الشعب الأفغاني ما تقدمه إليه وزارة المعارف وإدارة المطبوعات — تنفيذاً لرغبات جلالة مليكه المحبوب — أحسن استقبال . فأسهم بمبالغ كبيرة تشجيعاً للمعارف والمطبوعات ، مما كان له كبير الأثر في البرنامج الثقافي .

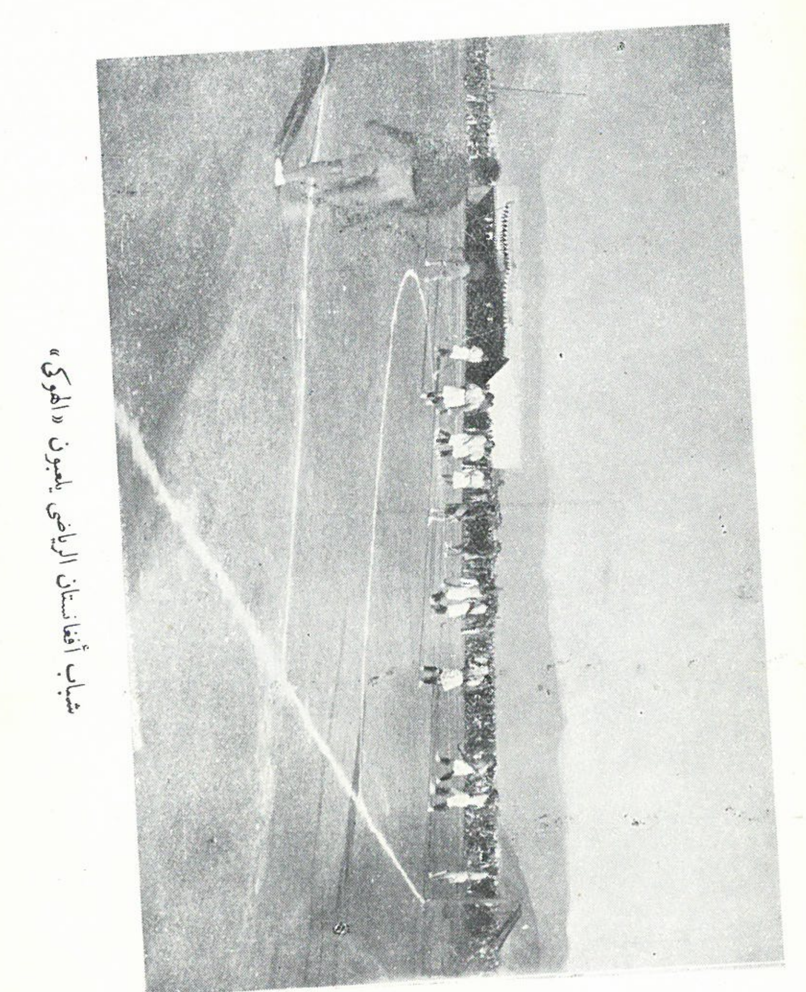
وفي أفغانستان اليوم جريدتان يوميتان أولاهما « إصلاح » ، وهي صحيفة صباحية شبه رسمية ؛ وأخراهما « أنيس » ، وهي مسائية

أشبال أفغانستان في ميادين الرياضة يحرزون قصب السبق

قومية ؛ وتوجد فى كل المراكز صحائف تنشر مرتين فى الأسبوع ، يضاف إلى ذلك ما تنشره الوزارات والدوائر الهامة من المجلات الشهرية ونصف الشهرية، من ذلك : « مجلة الجيش » : وزارة الدفاع ؛ ومجلة « مرآة المعرفة»: وزارة المعارف ؛ ومجلة « الاقتصاد » : وزارة الاقتصاد الوطنى ؛ ومجلة « المجموعة الصحية » : وزارة الصحة ؛ومجلة « كابل »: رياسة المطبوعات . . .

وقد كان موضوع (الصحة العمومية) موضع اهتمام حضرة صاحب الجلالة الملك بعد مسألة التعليم والتربية ، وقد خطت حكومته فى هذا المضمار خطوات كبيرة ، ففى كابل اليوم مستشفيات عظيمة عدة ، مزودة بأحدث الأدوات الطبية ؛ وفيها عدة مؤسسات صحية ، ومعامل للتحاليل المختلفة وزراعة النباتات الطبية المختلفة واستخراج العقاقير منها ؛ وفيها مؤسسات للبحث والتحقيق العلمى الطبى ؛ وتصنع كميات كافية من الأمصال الخاصة للكوليرا والتيفويد وغيرهما ، للاستهلاك المحلى ؛ وفى مركز كل مديرية مستشفى مزود بما يحتاج إليه من الأطباء والممرضين والأدوية ، يضاف إلى ما سبق تلك المستشفيات المتنقلة التى تنتقل بالسيارات من بلدة إلى أخرى ، ومما يستحق الذكر أن العلاج والأدوية والنوم والأكل كله بالمجان لطبقات الشعب المتوسطة والفقيرة ؛ أما القادرون فإنهم يدفعون ثمن الأدوية والأكل فقط . وقد أخذت المستشفيات فى الازدياد سنة بعد أخرى ؛ وفى النية إنشاء





شباب أفغانستان الرياضي يلعبون «الهوكي»

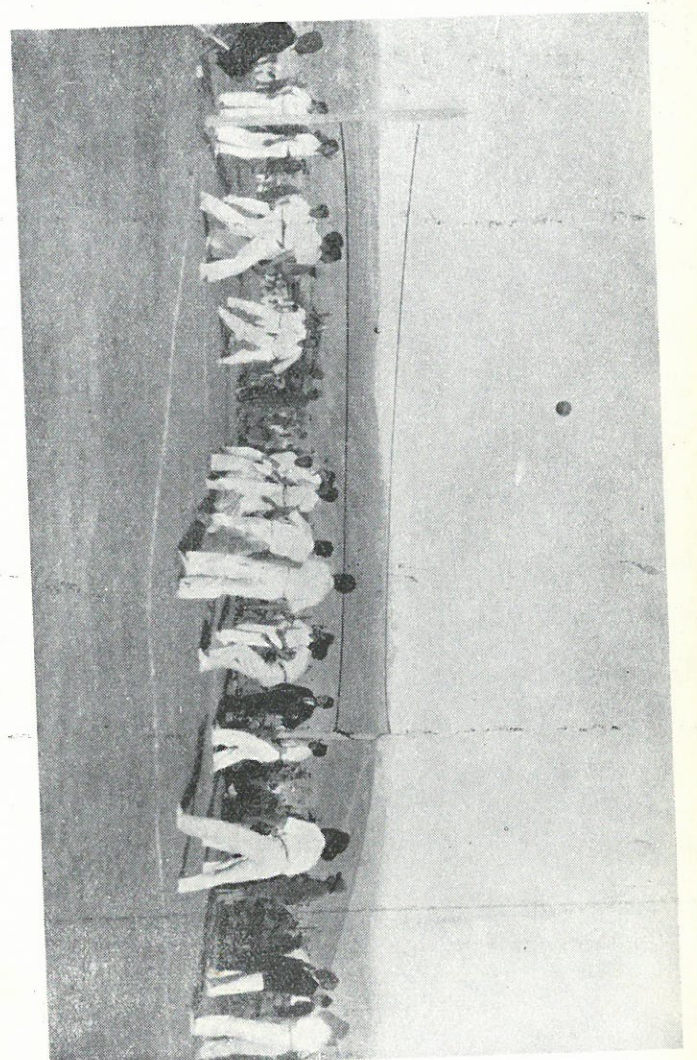
مستشفى فى كل مركز، حتى المراكز الصغيرة أيضاً . وقد روعى فى إنشاء المستشفيات أن تكون ملائمة لتطورات العصر الراهن . . . . وقد كانت الإعانات المتوالية من قبل الشعب لمشروع الصحة العمومية خير حافز للحكومة إلى بناء مستشفيات محلية .

وقد اتخذت الحكومة — لمقاومة الأمراض الوبائية والمعدية كالكوليرا والملاريا والجذام — إجراءات حاسمة ، ووجهت عنايتها بصورة خاصة نحو « الجدرى » إذ أوفدت البعثات الطبية فى أرجاء المملكة لتطعيم الأطفال بدون استثناء فى كل أنحاء البلاد ، وعند ما تظهر أعراض الكوليرا — التى تفد من الهند إلى أفغانستان — تتخذ الحكومة الحيطة والحذر اللازمين ، فتفرض « الحجر الصحى » وتحول دون انتشار هذا الداء بإيفاد البعثات الطبية للمناطق المعرضة لهذا الخطر ؛ وفى أول كل ربيع تطعم الهيئة الطبية جميع الشعب ضد «حمى التيفويد» .

ويقضى نظام « الصحة العمومية » بتطعيم جميع التلاميذ ضد حمى التيفويد والجدرى أول كل عام دراسى . وقد بذلت الحكومة جهوداً جبارة لردم البرك والمستنقعات فى أنحاء أفغانستان المختلفة وما زالت تبذل مثل تلك الجهود ، ويظهر من الإحصاء الرسمى أن المصابين بالملاريا قد انخفضت نسبتهم ، فى هذه السنة كثيراً بالنسبة للسنين الماضية . كما أن التربية البدنية كانت موضع عناية جلالة الملك المعظم ، فجلالته يعتقد أن العقل السليم فى الجسم السليم . ومن هنا

كان ما درجت عليه الحكومة من الاهتمام بشئون التربية البدنية ، فبثت فى نفوس الشعب روح الرياضة والألعاب ، وقد استطاع الشعب الأفغانى أن يتبوأ مركزه اللائق به فى البيئات الرياضية ، وأن يدهش العالم بما حازه من قصب السبق فى هذا المضمار ؛ ولا غرو فإن حب الرياضة كامن فى نفوس الأفغانيين وغريزى فيهم . . . وقد جاء ما حازته الفرقة الأفغانية فى الألعاب الأولمبية العالمية التى أقيمت فى برلين سنة سنة ١٩٣٦ من الانتصارات — مطابقاً لما عرف عن الشعب الأفغانى من روح رياضية سباقة ؛ ومثل ذلك فى المباريات التى تقع بين أبطال الهند وأبطال الأفغان ، سواء أكانت المباراة فى الأفغان أم فى الهند ، وكذلك المباريات التى أقيمت بين الفرق الأفغانية والفرق الروسية .

وقد اعتاد « النادى الرياضى الأهلى » فى أفغانستان أن يدعو فرقاً رياضية من الهند وباكستان خلال عيد الاستقلال . . . كما أن الفرق الرياضية الأفغانية التى تفد إلى العاصمة من مختلف أنحاء المملكة فى هذه المناسبة تحوز إعجاب تلك الفرق وتقديرها . وليست الرياضة البدنية بمقصورة اليوم فى أفغانستان على التلاميذ والطلاب ، وإنما تجدها منتشرة بين الموظفين المدنيين وغير المدنيين ، وبالجملة فإن هذه الروح شائعة بين شباب الشعب بأسره على وجه عام ؛ ففى كل مدرسة فرقها الرياضية التى تضم بين جوانحها شتى الألعاب : (كرة القدم ، الهوكى ، كرة السلة ، الكركيت ، كرة اليد ، التنس ،



من مظاهر النشاط الرياضى بين الشباب الأفغانى

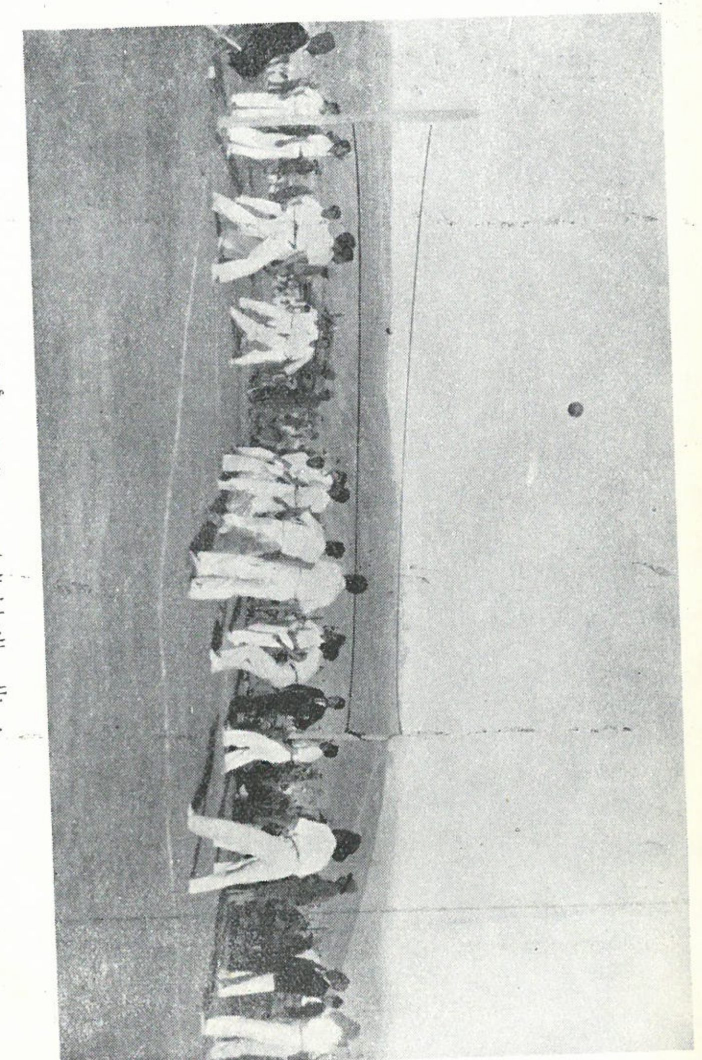
وهكذا ...) ومثل ذلك تجد فى كل ثكنة وكل وزارة وكل دائرة أيضا .

فالشعب الأفغانى مقبل على الرياضة البدنية والألعاب إقبالا عظيما ، بما يحس فى طبعه من الحب لها والشغف بها ؛ ولذلك فإن لدينا من الدلائل الملموسة ما يؤكد لنا أن هذا الشعب سيزداد قوة إلى قوة ونشاطاً إلى نشاط .

ومما احتل مقاماً كبيراً فى « برنامج التقدم » الأفغانى مسألة « الاقتصاد القومى » ، فقد أدركت حكومة أفغانستان أن كل تقدم ــ سواء أكان ماديا أو معنوياً ــ يرتبط ويتأثر إلى حد كبير بمسألة الاقتصاد القومى ، وأنه من غير الممكن إغفال هذا العنصر الهام فيما تتخذه الحكومة بشأن النهضة والرقى من إجراءات ؛ ومن هنا جاءت تلك المجهودات التى بذلتها الحكومات المتعاقبة بصدد إنعاش الاقتصاد القومى وإنمائه .

ويمكن القول بأن النظام الاقتصادى فى أفغانستان اليوم قد أخذ شكلا مرضياً ومطمئنا ؛ وأهم ما أقدمت عليه الحكومة فى درسها مسألة الاقتصاد يمكن تلخيصه على الوجه الآتى :

أولا : التوازن بين الواردات والصادرات : وقد بذلت الحكومة جهدها فى إنماء الموارد القومية وازدياد الصادرات منها ؛ فقدمت التسهيلات اللازمة فى الجمارك للمصدرين ، وعملت على استهلاك البضائع الأفغانية ورواجها فى الخارج بواسطة « بنك ملى أفغان » وصدرت



من مظاهر النشاط الرياضي بين الشباب الأفغاني

وهكذا ...) ومثل ذلك تجد فى كل ثكنة وكل وزارة وكل دائرة أيضا .

فالشعب الأفغانى مقبل على الرياضة البدنية والألعاب إقبالا عظيما ، بما يحس فى طبعه من الحب لها والشغف بها ؛ ولذلك فإن لدينا من الدلائل الملموسة ما يؤكد لنا أن هذا الشعب سيزداد قوة إلى قوة ونشاطاً إلى نشاط .

ومما احتل مقاماً كبيراً فى « برنامج التقدم » الأفغانى مسألة « الاقتصاد القومى » ، فقد أدركت حكومة أفغانستان أن كل تقدم — سواء أكان ماديا أو معنوياً — يرتبط ويتأثر إلى حد كبير بمسألة الاقتصاد القومى ، وأنه من غير الممكن إغفال هذا العنصر الهام فيما تتخذه الحكومة بشأن النهضة والرقى من إجراءات ؛ ومن هنا جاءت تلك المجهودات التى بذلتها الحكومات المتعاقبة بصدد إنعاش الاقتصاد القومى وإنمائه .

ويمكن القول بأن النظام الاقتصادى فى أفغانستان اليوم قد أخذ شكلا مرضياً ومطمئنا ؛ وأهم ما أقدمت عليه الحكومة فى درسها مسألة الاقتصاد يمكن تلخيصه على الوجه الآتى :

أولا : التوازن بين الواردات والصادرات : وقد بذلت الحكومة جهدها فى إنماء الموارد القومية وازدياد الصادرات منها ؛ فقدمت التسهيلات اللازمة فى الجمارك للمصدرين ، وعملت على استهلاك البضائع الأفغانية ورواجها فى الخارج بواسطة « بنك ملى أفغان » وصدرت

البضائع الأفغانية رأساً إلى الأسواق الغربية والأمريكية، بدلا من التصدير إلى البلاد المجاورة ثم تصديرها بواسطة تجار تلك البلاد إلى البلاد الأوربية والأمريكية .

وقد كان من جراء تلك التدابير — وتدابير أخرى اتخذت كإنقاص الواردات التى ليست الحاجة ماسة إليها ، وكإنماء المصنوعات القومية والمزروعات — أن أخذ التوازن التجارى يتعادل منذ خمس سنوات ، بل أخذت — أخيراً — كفة الصادرات ترجح . . . وقد كانت العناية متجهة — بوجه خاص — نحو « الفراء » ونعنى به ذلك النوع الذى اشتهرت به أفغانستان ، وهو فراء « استراكان » والذى انتشر فى أسواق أمريكا وأوربا وجلب اهتمام الناس به ؛ وقد ارتفعت نسبة محصول الفراء فى السنوات السبع — والثمان الأخيرة على أثر المساعى التى تبذلها الهيئات الاقتصادية فى أفغانستان — إلى مليون ونصف مليون فروة .

ويحتل القطن فى الصادرات الأفغانية المكان التالى بعد « الفراء » وقد اتجهت العناية إليه منذ تربع جلالة الملك المعظم على عرش البلاد، وفى خلال هذه المدة بذلت مجهودات جبارة فى سبيل تحسين إنتاج القطن، وزرعت منه مساحات واسعة فى الأنحاء الشمالية من المملكة، ونصبت فيها مصانع كبيرة للحلج حتى بلغ الصادر من القطن الأفغانى سنوياً ١٨٠٠٠ طن ولا زالت الحكومة تبذل جهوداً كبيرة

بالات القطن الأفغانى معدة للتصدير

لنشر زراعة القطن وتحسين إنتاجه حتى يبلغ الصادر منه أضعاف هذا المقدار .

ويأتى الصوف فى الأهمية بعد القطن ، وقد أخذ يحتل مكاناً اقتصادياً مرموقاً ، وذلك بفضل المصانع التى أنشئت لتنظيفه وغزله ، وبفضل العناية التى لاقاها من التجار ؛ ويتمثل ذلك فى الشركات العديدة التى أسست لهذا الغرض .

ويلى هذا الفاكهة التى تصدر إلى الهند وباكستان طازجة ومجففة ، وقد راجت الفواكه الأفغانية وارتقت من حيث الكمية المصدرة ومن حيث النوع ، فقد أدخلت عليها تحسينات جمة ، وتتخذ الفواكه فى الصادرات الأفغانية محلا لا ثقاً فى الثروة القومية . ويمثل كل من قندهار وكابل وهرات أهم نقطة لتجارة الفواكه المجففة ، كما أن هرات اشتهرت بوجه خاص فى تصدير « الفستق » إلى أوربا .

أما من حيث الواردات فإن الحكومة بذلت أقصى جهدها فى خفض نسبتها ، وأول شىء قلت نسبة الوارد منه بمقدار كبير هو السكر ؛ إذ استوردت الحكومة فى سنة ١٩٣٩ لهذا الغرض مصنعاً كبيراً وهو ينتج نصف ما يستهلكه الشعب ؛ واستوردت الحكومة أيضاً مصنعاً كبيرا للغزل والنسج فى هذه السنة ، وقد استطاع هذا المصنع أن يقلل صادرات القطن إلى النصف .

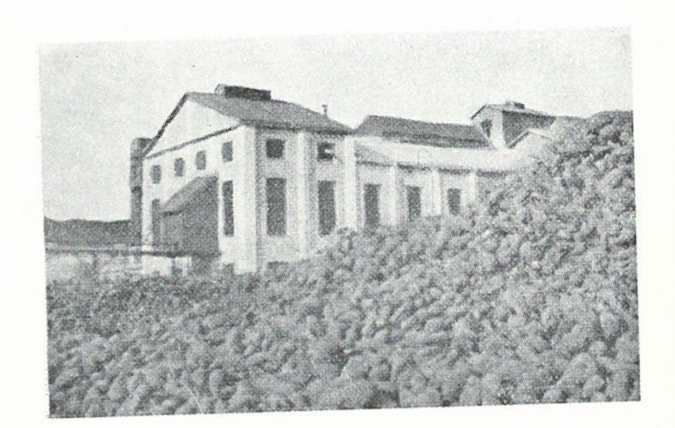
وقد كان من جراء كل هذه الإجراءات التى اتخذتها الحكومة

الأفغانية أن أخذت كفتا الواردات والصادرات تتعادلان منذ سنوات ؛ أما اليوم فان كفة الصادرات أخذت ترجح أختها .

ثانياً : تركيز رءوس الأموال وتأسيس الشركات :

كانت التجارة فى أفغانستان — فى العهود السابقة — مطبوعة بالطابع الفردى الشخصى ، فلم يكن هناك تاجر كبير أو شركة كبرى ، ولم تكن هناك نتائج مفيدة تعود على الشعب الأفغانى عامة أو تمس حياته الاقتصادية والاجتماعية ، فلما كانت سنة ١٩٣٢ أصدر حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك محمد نادر شاه الغازى الشهيد — وقد كان حكيما حاذقاً بصيراً بالأدواء الكامنة فى كيان الشعب — أمره الكريم بإنشاء «بنك ملى أفغان» من رأس مال الشعب ، ومنذ ذلك الحين أخذت الحياة الاقتصادية فى أفغانستان تنتعش ، ولم تقف أعمال هذا البنك ومجهوداته عند النهوض بالتجارة ، وإنما أسهم أيضاً فى كثير من المشروعات الصناعية والاقتصادية الأخرى .

وقد تمكن هذا البنك الأفغانى فى مدة وجيزة — على أثر حسن التفاهم مع تجار الوطن ، وبفضل ما منحتهم الحكومة من الاحتكارات والامتيازات فى بعض الواردات والصادرات — أن يؤسس عدة شركات متينة منظمة ، كان لها أكبر الأثر فى تنظيم الصادرات والواردات وإدارتها إدارة حكيمة حازمة ، وضمان الحياة الاقتصادية ومنتوجات



البنجر الأفغانى حيث يصنع منه السكر فى بغلان

الوطن ولم يقتصر أثرها على هذا فحسب بل ظهر أثرها فيما أسست من مصانع وفيما وجهت من العناية نحو المزروعات الوطنية التى تصدر، فقد أنشأت مصنعاً للسكر ، ومصنعاً للنسيج ، ومصانع للفواكه والحلويات. وقد حدا هذا العمل الجليل بكثير من التجار إلى شراء المصانع للأغراض العامة ، وهكذا ازدهرت الزراعة أيضاً نظراً لطلبات المصدرين ولما تحتاج إليه مصانع النسيج والسكر وغيرها ؛ وقد بلغ رأس مال « بنك ملى أفغان » فى ظرف سنة واحدة ملياراً من الأفغانى (وحدة العملة الأفغانية) فأخذ البنك يستغله فى شتى المرافق الحيوية من تجارية وصناعية وزراعية ، مما رفع من شأن الاقتصاد القومى على وجه مرض .

ويعد هذا البنك اليوم مؤسسة اقتصادية هامة ، بما يضم من شركات عديدة تعمل تحت إدارته .

ثالثا — وحدة النقد الأفغانى وتحديد سعره :

أصابت وحدة النقد الأفغانية منذ الثورة الداخلية اضطرابات شديدة على أثر نفاد الاحتياطى من الذهب وعدم التوازن التجارى ، وأخذت فى الهبوط يوماً بعد يوم تحت تأثير الأسعار الخارجية ، مما كان له أكبر الأثر فى حياة أفراد الشعب الاقتصادية وفى كيان الحكومة أيضاً .

ولما أسس « بنك ملى أفغان » أخذ يوجه عنايته نحو ما أصاب الوحدة من التدهور ، فشرع — تحت مراقبة وزارتى المالية والتجارة —

فى شراء الذهب والسندات الخارجية وخزنهما ، يريد بذلك تثبيت سعر الوحدة الأفغانية وإصدار الأوراق المالية بعد توافر الكفاية من الذهب ومن السندات الخارجية ؛ وقد استطاع أن يصدر الأوراق المالية، ووفق فى إتمام صفقات تجارية كبرى مع الأمم الخارجية— على سبيل «الاقتراض»— للتجار والشركات وللحكومة أيضاً .

ولقد كان من آثار ذلك ونتائجه الباهرة أن بلغت السندات الخارجية الأفغانية والاحتياطى من الذهب المخزون مقداراً مطابقاً لشرائط القانون الدولى لهذا الغرض ، فرأت الحكومة أن تنشىء بنكا مركزياً سمته « بنك شاهى أفغان » وأعطت له امتياز إصدار « الأوراق المالية » .

ولقد جاءت هذه الثقة المتينة بالوحدة الأفغانية نتيجة لتعادل الميزان التجارى ورقى الصادرات وإدارة بيع السندات الخارجية وشرائها .

رابعاً — المواصلات :

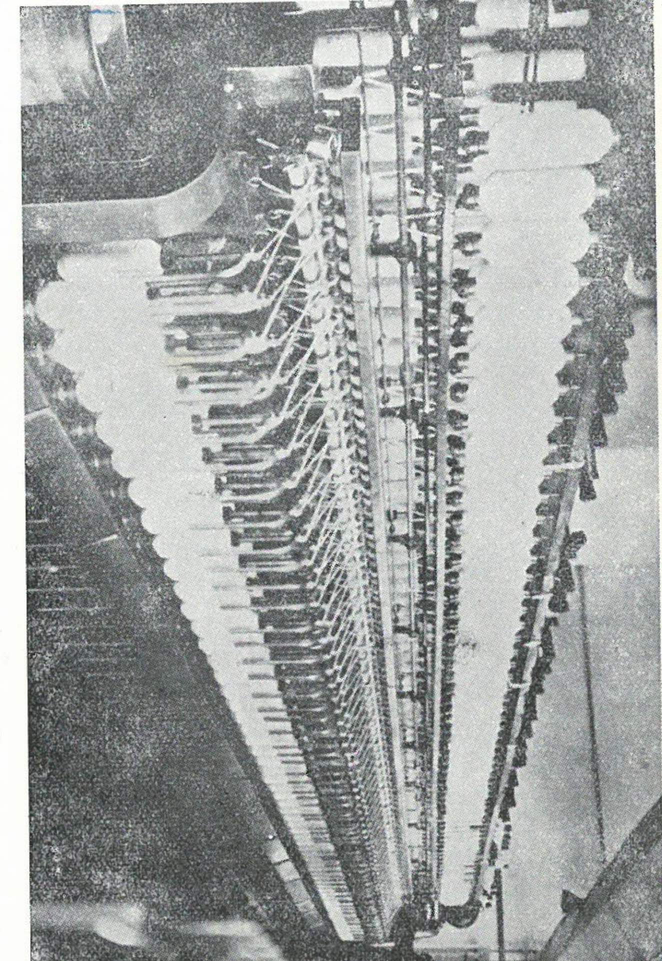
نظراً لطبيعة بلاد الأفغان وما يتخللها من جبال ووهاد ، كانت مسألة المواصلات — دائماً — مشكلة عويصة وعقبة كأداء فى سبيل الرقى والتطور . . . وقد تفاقمت هذه المشكلة واستفحلت فى العصر الراهن نظراً لما يقتضيه من السرعة ؛ وبخاصة عند ما أسفرت البلاد عن كنوزها العظيمة وكشفت لنا عن مواردها الاقتصادية الغنية .

وقد بذلت الحكومات المتتالية مساعى مشكورة فى علاج هذا الأمر ،

فأنشأت الطرق الممهدة لمرور السيارات ، وأخذت فى تعبيد الطرق الموجودة وإيجاد شبكة قوية تضم أرجاء المملكة بعضها إلى بعض ، كما أمدت المدن والقرى بالتلغراف والتلفون ، ومن أهم الطرق التى عبدت حديثاً الطريق الشمالية التى تصل ولايات مزار ، قطغن ، ميمنة — بكابل . وبواسطة هذا الطريق الهامة التى تمر عبر « هندوكش » وتتصل بطرق أخرى رممت وأصلحت ، وجدت فى أفغانستان طريق تدور حول المملكة يقدر طولها بثلاثة آلاف كيلومتر ، وهذه الطريق تبدأ من كابل وتمتد نحو قندهار ، هرات ، ميمنة ، مزار ، خان آباد ، بغلان ، (وفيها مصنع للسكر) پل خمرى (وبها مصانع النسيج وهى منطقة لزراعة القطن) ثم تعود إلى كابل . .

وهكذا نشاهد سلسلة من الطرق فى الجانب الشرقى من أفغانستان أيضاً ، فهناك طريقان ممهدان إلى جلال آباد تقطع الجبال الراسخات . وطريق أخرى أقصر طولا وأهم شأناً تمر بين واد صعب المرور (وادى غارو) على وشك الانتهاء ، وهى تنتهى عند « طورخم » التى تتاخم منطقة الحدود الشمالية الغربية فى باكستان .

وعلى هذا النحو نجد شبكة من الطرق المعبدة تصل بين أنحاء المملكة فتصل « قندهار » بـ « چمن » على حدود — بلوخستان — و « هرات » بـ « إسلام قلعة » — على حدود إيران — و « كشك » — على حدود روسية — ، و « مزار » بـ « بند كيسر » و « كلفت »



الصناعات أساس النهضة فى أفغانستان وهذه صورة من المغازل الأفغانية الحديثة

– على مقربة من الحدود الروسية – و « خان آباد » بـ « حضره إمام » – على الحدود الروسية بجوار نهر « آمو » – وطريقا من « كابل » إلى « هرات » مارا بـ « قندهار »، وطريقا من « كابل » إلى « مزار وخان آباد » مارا بـ « دره شكارى وپُل خمرى »، وطريقا من« كابل» إلى « طورخم » – جهة پشاور – وطريقا بين « قندهار » و « چمن » (بلوخستان) .

* * *

هذه خلاصة وجيزة عن نهضة أفغانستان الحديثة نقدمها لأولئك الذين يخصون هذه البلاد بكثير من الود والإخلاص ويترقبون أخبار نهضتها وقلوبهم عامرة بالآمال الجسام .

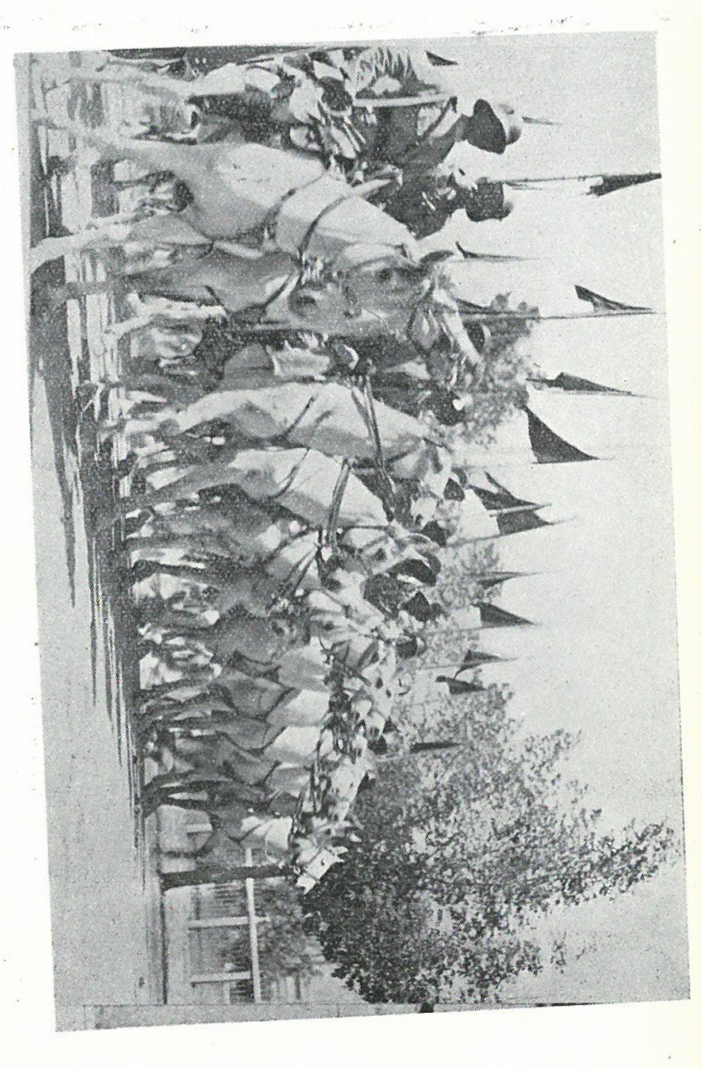
وقبل أن نختم هذه الكلمة ينبغى ألا نغفل جانباً هاماً تناوله « برنامج الرقى» الأفغانى ،وذلك هو الجيش ؛ فقد أحست الحكومة أن كل نهضة أو رقى إنما يأتى بعد انتشار الأمن واستتبابه فى أنحاء المملكة انتشاراً يتمكن معه كل فرد من التمتع بحقوقه الشخصية ؛ ولذلك عمدت منذ سنين بعيدة إلى إنشاء جيش منظم قوى تكفل به سلامة الوطن ؛ ولكى تستطيع تنفيذ برامجها الدفاعية على وجه يتلاءم مع نهضة البلاد وتطورات العصر الراهن، أسست مدارس وكليات عدة ليتلقى فيها أفراد الجيش وضباطه الفنون الحربية الحديثة ؛ واستوردت كل ما يحتاج إليه جيش حديث قوى من الأسلحة والآلات من البلدان

الخارجية من جهة أخرى ، وأنشأت لهذا الغرض نفسه فى مختلف أنحاء المملكة ثكنات عسكرية تتوافر فيها الشروط الصحية على أكمل وجه .

وإن الاستعراضات العسكرية التى تقوم بها بعض الفرق الأفغانية أثناء عيد الاستقلال كل عام تحوز تقدير القواد العسكريين الأجانب .

ولقد أخذ الجيش الأفغانى يخطو نحو الرقى سنة بعد سنة بخطوات حثيثة شاسعة فى ظل حضرة صاحب الجلالة محمد ظاهر شاه القائد الأعلى للجيش .

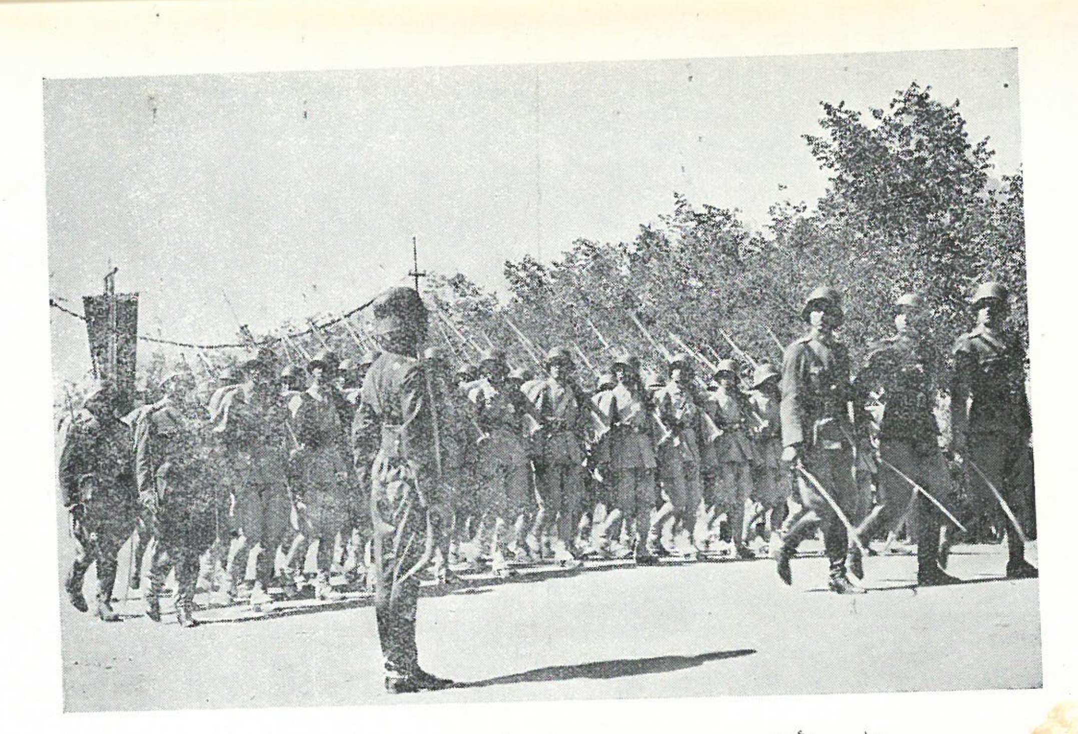
ومن حسن الحظ أن الشعب الأفغانى يستطيع أن يعتمد الآن على جيشه الباسل بما عهد فى هذا الجيش من الكفاية الحربية وبما زود به من العدد والأسلحة الحربية المختلفة ، لا فى إقرار الأمن الداخلى واستتبابه فحسب ، بل فى الذود عن حياض الوطن والمحافظة على استقلاله والوقوف فى وجه أعدائه أيضاً .



إحدى فرق الخيالة فى الجيش الأفغانى تمر أمام القائد الأعلى



إحدى فرق المصفحات الأفغانية أثناء الاستعراض السنوى



الجيش الأفغاني يحوز تقدير القواد العسكريين ويذود عن حياض وطنه المفدى

رأيت فى أفغانستان

بقلم عبد الحميد الـكاتب

« كاتب هذا المقال هو الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى ، وهو من رجال السلك السياسى المصرى ، وقد اقتضاه عمله أن يقضى فى أفغانستان فترة ما ، أتيح له فيها أن يعرفها، وأن يكتب عنها، ونحن ننشر فى هذا الـكتيب مقاله هذا كما أنشأه، ليكون تعبيراً صحيحاً عن إحساس كاتبه بما رأى وما عرف من شئون تلك البلاد »

كابل :

ما أحسب أن هناك بلداً جوهره خير من مظهره ، مثل أفغانستان ! فكل بلد يعنى بأن يظهر لمن يعبر به أجمل ما فيه ، ويخفى أقبح ما فيه . . . إلا هذه البلاد . . . فليس يعنيها أن يرضى عنها الأجنبى الذى يمر بها مراً عاجلا ، وليس يعنيها أن يطلق لسانه فيها بما يشاء ، وكأنها الرجل الواثق من نفسه ، المطمئن إلى قوته ، فلا يرى بأساً فى أن يبدو أمام الناس فى ثوب مهلهل أو مرتوق !

انظر إلى بيوتها مثلا . . . فعندما دخلت مدينة كابل أول مرة ، وتجولت فى أنحائها قليلا ، وجدت أكثر طرقها ضيقة ، متربة ، تتعالى فيها الأحجار ، وتتناثر فى جوها الأتربة ، وتمتد على جانبيها

جدران واطئة من اللبن ، فيها فتحات ضيقة نصبت عليها أبواب خشبية صغيرة !

فلم يخالجنى الشك فى أن هذه الجدران لا يمكن أن تخفى وراءها إلا أكواخاً حقيرة من اللبن . . . فرشت أرضها بالحصير الخشن . . . ونام فيها الناس على مصاطب من الطوب ، واستضاءوا بذبالة توقد بالزيت أو الجاز . . . وشربوا واستحموا بماء الآبار يغترفونه بكوز من الصفيح ؛

هذا هو ما تصورته أول ما دخلت المدينة وجست خلالها . . . ولكنى ما كدت أدخل بابا من هذه الأبواب الخشبية الصغيرة ، ذات الأقفال الحديدية الصدئة ، حتى ألفيت نفسى وسط بستان ناضر من الزهر والثمر . . . يكتنف بيتاً بنى على أحدث طراز ، وأثث بأجمل أثاث . . . قد انتثرت فيه الأرائك من المخمل والجلد ، وبسطت فيه السجاجيد الوثيرة التى افتنوا فى نسجها وزخرفتها ، ونسقت فيه المائدة أجمل تنسيق ، وصفت عليها أدوات السرفيس كما تصف فى أحسن الفنادق . . . وأضىء البيت بالكهرباء . . . ومرت فيه الأنابيب تحمل الماء العذب من ضاحية « پغمان » النائية !

وليست بيوت كابل جميعاً من هذا الطراز ، ولكن هذه بيوت أغنيائهم الموسرين . . . أما بيوت الطبقة الوسطى من أهل البلاد ، الذين لا يستريحون إلى الجلوس على المقاعد ، والأكل على الموائد ،

فإنك تراهم بها يفترشون أرضاً كسيت بالسجاد الجميل والوسائد الأنيقة، وترى فيها كل أسباب الراحة ميسورة موفورة . . .

مظهر الأفغانى لا يدل على جوهره

والأفغانى مثل بيته : مظهره لا يدل على جوهره ، وباطنه خير من ظاهره !

إنه يبدو لك أول الأمر رجلا جافاً ، جامداً كأنه قد من جبال بلاده الصماء . . وتراه ينظر إليك ، وإلى كل أجنبى عن بلاده ، نظرة خوف وتوجس ، ولا يكاد يسير الأجنبى فى أفغانستان إلا وأنظار الناس متشوفة إليه فى دهشة وتساؤل ، ملقاة عليه فى تعجب واستغراب ، ولا يكاد يدخل متجراً إلا تجمع أفراد من الناس أمام الباب ينظرون إليه ويتساءلون : ماذا يشترى ؟ وكيف يتكلم ؟ وكم يدفع ؟

والأفغانى غريب فى هذا . . . فإن دهشته من رؤية الأجنبى تشبه أحياناً نفسه ، فتراه واقفاً أمام هذا الأجنبى وجها لوجه ، محملقاً فيه بعينين واسعتين ، كأن هذا الأجنبى شىء يستحق التطلع والمشاهدة . . . وقد يلتفت الأفغانى إلى من حوله من المتفرجين ويأخذون فى الحديث عن هذا الأجنبى ، كأنهم اكتشفوا أنه خلق آخر ، يختلف عنهم كل الاختلاف !

ولا ترجع دهشة الأفغانى من رؤية الأجنبى إلى قلة الأجانب فى بلادهم ، ففى كابل مئات ، وفى هرات وقندهار وجلال آباد عشرات من الأمريكيين والأمريكيات ، والأوربيين والأوربيات ، يعملون مهندسين لرصف الطرق وإقامة خزانات المياه ، أو مدرسين وأطباء فى كليات الجامعة الأربع ، أو وكلاء للمؤسسات التجارية الأجنبية . . . وذلك فضلا عن رجال السفارات والمفوضيات هناك ، ففى كابل اليوم خمس عشرة بعثة دبلوماسية ، منها أربع عربيات ، وهى المصرية والسعودية والعراقية والأردنية . . . والواقع أن حكومة أفغانستان تبذل جهداً كبيراً ، ومالا جزيلا فى سبيل استقدام هؤلاء الخبراء الأجانب ليعملوا فى تعمير البلاد وترقيتها .

وإنما ترجع دهشة الأفغانى من رؤية الأجنبى ، إلى أن بلاده قد غزاها الأجانب مراراً طوال التاريخ ، فصار يرتاب فى الأجنبى ويتوجس منه خيفة ، وأخذ ينظر إليه نظرة الشك ، والحذر والإشفاق ، أما إذا عرفه ، واطمأن إليه ، ووثق منه ، تبدى هذا الأفغانى على حقيقته . . . رجلا ما يزال على فطرته الأولى ، لم تنل منه المدنية ولم تفسده الحضارة ، بل ظل كما كان الناس قديماً . . . كريماً ، وفياً ، صريحاً ، شجاعاً ، مؤمناً ، مخلصاً ، محبا للحرية ، متأهبا لبذل دمه فى سبيلها . . . وعلى الجملة ما يزال جوهر الأفغانى سليما ، لم تفسده هذه الحياة الحضرية التى تضطر الإنسان المتمدين إلى

كثير من أساليب المكر الذى يبلغ حد الخبث ، والحذر الذى ينحدر إلى الجبن ، والمجاملة التى تؤدى بالمرء إلى الاستكانة .

موقع أفغانستان يجعلها هدفاً للفاتحين

وقد غزيت أفغانستان مراراً منذ بداية التاريخ برغم وعورة جبالها ، لا طمعاً فى أرضها ، ولا سعيا وراء خيرها ، بل لأنها تحتل مكانا جغرافياً عجيباً يجعلها هدفا للغزاة والفاتحين ؛ فكل فاتح طمحت نفسه إلى امتلاك الهند ، تلك البلاد الفسيحة الخصيبة السخية، فكر أولا فى أن يضع يده على مفتاح بابها ، أى على أفغانستان ، التى لا منفذ للهند إلا عن طريقها .

فالإسكندر المقدونى أراد أن يسير إلى الهند ، فسار أولا إلى أفغانستان ، واخترق على ظهور الجياد جبالها الوعرة ، وصخورها الصماء ، التى تلتهب بالحرارة صيفاً وتكتسى بالثلوج شتاء . . . ثم نفذ منها إلى سهول الهند الخصبة ففتحها . . . ثم اقتسم خلفاؤه هذه المملكة الواسعة التى شادها ، فأقام أحدهم فى أفغانستان دولة يونانية عمرت طويلا ، وما زالت آثارها باقية فى متاحف أفغانستان وحفرياتها .

وغزاها العرب فى صدر الإسلام ، وحولوا أهلها من عبادة أصنام بوذا ونيران زرادشت ، إلى عبادة الله الواحد الأحد . . . فصاروا أكثر الناس تعصباً للإسلام ، ولا يوجد بين الأفغان جميعاً — وعددهم

اثنا عشر مليون نسمة — إلا بضعة الآف من الهندوس واليهود يعملون فى التجارة . . . أما الباقون فمسلمون ، مسلمون متدينون إلى حد كبير . . . ولا يكاد الأفغانى الذى يعيش بعيدا عن المدن يجاوز سن الحلم ، حتى تتدلى على وجهه لحية طويلة ، وتتدلى بين أصابعه مسبحة طويلة !

وأكثر أفغانستان هو ما كان يعرف باسم خراسان التى قامت فيها حضارة إسلامية عظيمة ، والتى أنجبت أبا مسلم الخراسانى .

وشهدت أفغانستان الطاغية جنكيز خان وهو يهب من أواسط آسيا فيجتاح سهولها وجبالها اجتياح العاصفة الهوجاء ... ومرت بها خيوله فلم تترك بها أخضر ولا يابساً ولم ترحم فيها أرملة ولا عانساً .

وعند ما هم المسلمون بفتح الهند وامتلاكها كانت أرض أفغانستان مسرحاً للجيوش وميداناً للقتال ، فمنها انبعث السلطان محمود الغزنوى إلى الهند ففتح مناطقها الشمالية ونشر فيها الإسلام . وما تزال أطلال عاصمته ، مدينة غزنى ، تروى بأبراجها وأسوارها ، وبقبره وقبر أبيه ، « السلطان سبكتكين » قصة هذا المجد الذى عفى عليه الدهر . . و « بابر » هذا الفاتح المغولى الجبار الذى أقام دولة المسلمين فى الهند ، كرت وفرت فرسانه وأفياله مراراً بين الهند وأفغانستان . . . ولكنه اختار مقره الأخير فى كابل ، فأوصى بأن يدفن فيها وسط تلك الحديقة الجميلة المسماة باسم حديقة بابر .

الأفغان بين الإنجليز والروس

ونشبت الحروب فى التاريخ الحديث مراراً بين الأفغان والروس ، وبين الأفغان والإنجليز .

أما الروس فقد اقتطعوا من أفغانستان بعضاً من أرضها ، وتقع اليوم داخل حدود روسيا مدينة بخارى وسمرقند وسواهما من البلاد الإسلامية التليدة التى أنجبت كثيراً من علماء الإسلام ومفكريه ، وحسبنا أن نذكر منهم الإمام البخارى والعلامة البيرونى ، وأبو مسلم الخراسانى ، وابن سينا .

مفتاح الهند

أما الإنجليز فقد تبينوا منذ البداية أن أفغانستان هى مفتاح الهند ، إن لم يسيطروا عليها لم يأمنوا على أنفسهم فى الهند . . . فقامت الحروب بينهم وبين الأفغان مراراً ، وتشابكت جنودهما فى هذه المسارب الجبلية الوعرة الرهيبة . . . فانتهت الحروب الثلاث بينهما بالهزائم المتوالية ، منيت بها الجيوش الإنجليزية التى لا قبل لها بقتال القبائل الأفغانية المحاربة ، وما يزال قوس النصر القائم فى ضاحية يغمان شاهداً على آخر هزيمة أنزلها الأفغان بالإنجليز .

وهذه الغزوات المدمرة التى تتابعت على أفغانستان على مر التاريخ ، هى التى ولدت فى أبنائها خلق الحذر من الأجنبى ، والشك فى نواياه ،

فلا يسير إلا وأنظار الناس ترمقه من كل جانب ! . . وكثيراً ما رأيت الفتيات الأمريكيات يطلقن ضحكاتهن المرحة العالية ، عندما يلتف حولهن جمع من الأفغان ، فيتفرسون فى وجوههن ولباسهن ، ويتهامسون فيما بينهم برأيهم فى هؤلاء الأجنبيات السافرات ، الضاحكات !

وقد أكبرت شيئاً فى الأفغان ، هو أنهم لا ينظرون إلى الأجانب على أنهم أفضل منهم وأرقى ، كما هو شأن كثير من الشعوب التى غزيت كثيراً واستغلت طويلا فغدت تحسب كل أجنبى خيراً منها دما وخلقا وذكاء . . بل إن الأفغانى يعتقد فى قرارة نفسه اعتقادا يحسبه بعض الناس غفلة وغروراً ، أنه من أرقى شعوب العالم جميعاً ، ومن أقواها جسما ، وأصفاها طبعاً ، وأذكاها فؤادا . . ويرى أن تأخره فى مظاهر الحضارة لا يرجع إلى نقص فى طبيعته ، بل إلى الوضع الجغرافى لبلاده مما عزلها عن العالم وراء جبالها الشماء ، ومما عرضها لكثير من الغزوات الأجنبية والثورات الداخلية .

أنفة الأفغانى

ولعل الحادثة التالية تدل على مدى اعتداد الأفغانى بنفسه اعتداداً يصل إلى حد الكبرياء ، وإعجابه ببلده إعجاباً يبلغ مبلغ التقديس ؛ فالقانون الأفغانى هو الشريعة الإسلامية التى تقول إن من قتل يقتل ، ولكن من عفا وأصلح فأجره على الله . فالقاتل فى

أفغانستان يحكم عليه بالإعدام ، ثم يترك الأمر لأهل القتيل ، فينفذون فيه حكم الإعدام إن شاءوا ، أو يعفون عنه إن أرادوا ؛ لقاء دية يأخذونها ، أو احتسابا لوجه الله . وقد حدث ذات يوم أن إيطالياً قتل أفغانيا ، وأقر بجرمه ، وحكم عليه بالإعدام ، وسلم القاتل لوالد القتيل ليزهق روحه بنفسه ، وجاء الأب ، واجتمع الأهل والناس ؛ وألقى الإيطالى على الأرض ، ومد عنقه تأهبا لذبحه ، وأخذ الرجل السكين وشحذه ، وشمر عن ساعده ، وشرع يأخذ بدم ابنه . . ومر بالسكين على عنق الإيطالى هونا . . ثم التفت إلى من حوله وقال : ولكنى إن ذبحته أسلت دمه على أرض بلادى . . وما أحب أن ألوث هذه الأرض الطاهرة بدم هذا الكافر اللعين !

ولكن الحكومة نابت عن أهل القتيل فى أخذ الثأر فأعدمت القاتل .

ومن علامات أنفة الأفغانى وشممه أنك قلما ترى شحاذا فى هذه البلاد الفقيرة الجرداء . . وكأنه يؤثر أن يموت جوعاً على أن يمد يده للناس متسولا متوسلا . . بينما ترى فى الهند ؛ حيث الأرض الخصبة والخير الموفور ؛ أسراب الشحاذين ومواكبهم تزحم الطرق وتطارد المارة !

رياضة رهيبة

والأفغانى من أقوى الناس جسما وأشجعهم قلباً ؛ ولهذا فإن

رياضتهم المحبوبة هى سباق « البوزكاشى » الرهيب . . إذ يجتمع لفيف كبير من فرسانهم على ظهور جيادهم الأصيلة ؛ ويأتون بخروف فيذبحونه ويضعونه فى حفرة وسط حلقة السباق ؛ ثم يندفع الفرسان على صهوات الجياد حول هذه الحفرة ليختطف كل منهم الخروف . . ثم يتدافعون من حول هذا الذى اختطفه ؛ وكل منهم ممسك بزمام فرسه بيد ؛ محاولا أخذ الخروف بيده الأخرى . . وهى رياضة ممتعة حقا ؛ تسمع فيها الجياد تصهل ، والفرسان يصيحون ، والغبار يملأ الجو ؛ والناس من حولهم يتطلعون فى لهفة إلى من يفوز بالخروف أخيراً . . وكثيراً ما يقع فى هذه الرياضة بعض القتلى ؛ ومع هذا فهى رياضتهم المحبوبة !

والأفغانى الأصيل يقول لك بزهو : نحن أبناء الجنس الآرى ، هذا الجنس الذى زعم هتلر ؛ وزعم من قبله هوستن تشمبراين وروزنبرج ، أنه أرقى أجناس العالم خلقاً ؛ وأسواها جسما ؛ وألمعها ذكاء ؛ وأقدرها على الابتكار .

والواقع أن الافغانى أقرب صلة إلى الأصل الآرى من الألمانى . . والملامح الآرية أكثر وضوحاً فيه منها فى أى شخص آخر ؛ فهو على الجملة أبيض البشرة ؛ مستطيل الرأس ؛ سبط الشعر ؛ دقيق الأنف ؛ مطبق الشفتين ؛ طويل القامة نحيفها . ذلك أن منشأ الجنس الآرى هو الإقليم الشمالى من الهند ؛ ومنه انبعث مهاجراً صوب الغرب ؛ ماراً



سباق « البوزكاشى » رياضة أفغانستان المحبوبة

بهذه المناطق التى تعرف اليوم بأفغانستان وإيران ؛ ثم توطن فى أواسط أوربا وانتشر منها غرباً وشمالا ؛ فكانت منه شعوب أوربا الشمالية .

ويسمع المرء فى لغة الأفغان ؛ أعنى اللغة الفارسية : ألفاظاً يحسبها أخذت من اللغة الألمانية، ولكنها هى الألفاظ التى حملتها معها القبائل الآرية فى رحلتها من أواسط آسيا إلى غرب أوربا ؛ فهم يسمون الأب پادر ، والأم مادر والأخ برادر ، والبنت دوختر ، وهكذا . .

والأفغانى الذى يلبس القبعة لا يكاد يفترق عن الألمانى شيئاً . . وقد تعجب حين تسمع أن الأفغانى يلبس القبعة : ولكن الواقع أن عدداً كبيراً من الأفغان — من هؤلاء القوم المتعصبين للإسلام بشتى مظاهره وتقاليده — يلبس القبعة ؛ ويدخل بها إلى المسجد يصلى ؛ ومن وزرائهم من يلبس القبعة أيضاً . وإن كان لباس الرأس الشائع بينهم هو « القره قولى » وهو يشبه طربوشاً قصيراً من فراء الاستراخان الثمين ؛ الذى يعد ثروة أفغانستان الأولى ، إذ تصدر منه فى كل سنة زهاء مليونى قطعة ؛ تستوردها أمريكا حيث تدبغها وتصبغها ثم تبيعها فى شتى أنحاء العالم ؛ فتود كل سيدة غنية أن يكون عندها معطف من هذا الفراء الثمين .

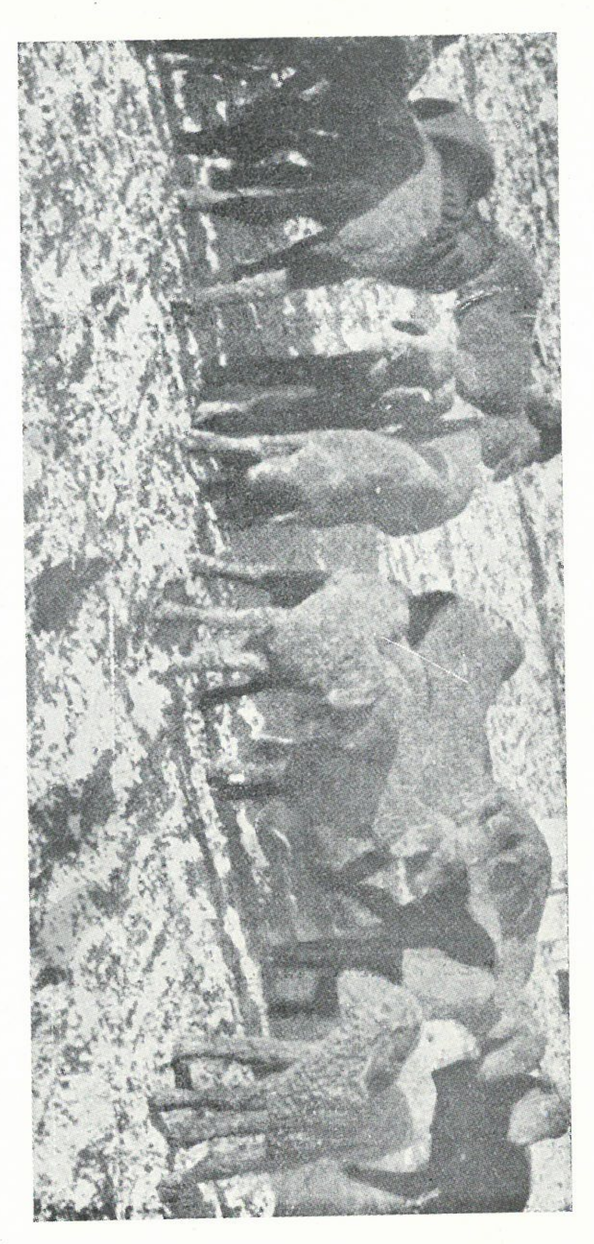
والاستراخان هو فراء نوع معين من الأغنام يذبحونه وهو صغير . . ولونه الغالب هو اللون الرمادى الجميل . ولكن منه الأسود القاتم . . . وقطعة الاستراخان يتراوح ثمنها بين ثلاثة وعشرة جنيهات ؛ ومعطف

السيدة يأخذ من خمس وعشرين إلى ثلاثين قطعة . . وتحتكر أفغانستان تربية هذا النوع من الأغنام ؛ ولكن من سوء الحظ أنه لا يعيش إلا فى المناطق الشمالية المجاورة لروسيا ؛ فكان الروس يعبرون الحدود ويسرقون بعضاً من هذه الخراف ، ويخطفون أيضاً بعض رعاتها . . فصارت روسيا تنتج الاستراخان أيضاً وتنافس فيه أفغانستان .

أما الأفغانى المتدين ؛ ولا سيما من أهل القبائل ؛ فانه يلبس العمامة ، والعمامة الأفغانية شىء ضخم ، له طيات ولفائف وذيول ؛ حتى تستطيع أن تقى الرأس من الشمس اللاهبة صيفاً ؛ ومن الريح القارسة شتاء ؛ وتحت العمامة معطف أو عباءة واسعة ، ومن تحتها سروال فضفاض .

الأفغانى رجل متدين

والأفغانى سواء لبس العمامة أو القبعة أو القره قولى ، رجل متدين قبل كل شىء ، ولا ترى فى حياة أفغانستان الظاهرة شيئاً يتنافى مع الإسلام ؛ فالخمر ممنوعة ، وعقوبة شربها أو شرائها السجن ؛ والحجاب الكامل مفروض على جميع النساء من أرقى الطبقات إلى أدناها ، وهو حجاب ثقيل كثيف ينعقد فوق رأس المرأة وينسدل حولها حتى يغطى قدميها وينسحب على الأرض أيضاً ؛ ورجال الدين منبثون فى كل مكان يشرفون على شؤون الناس الدينية والاجتماعية ، ولهم على القوم



أغنام القره قل (الاستراخان) ذات الفراء الثمين

نفوذ روحي عظيم ؛ ويتزعم علماء الدين هؤلاء « حضرة صاحب نور المشايخ المجددي » ، وهو الأخ الأكبر للسيد محمد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، وهو زعيم ديني وروحي عظيم ، وهو معتن بمشاكل العالم الإسلامي قاطبة ؛ وقد استطاع أن يعطف الشعب الأفغاني على قضية فلسطين الجريحة وأبنائها المشردين ، وخطب الناس في المساجد ، فأقبلوا يتبرعون بأكثر ما تملك أيديهم ، بل إن منهم فقراء خرجوا لفلسطين عن كل ما يملكون من حطام الدنيا ؛ وقالت امرأة عجوز : إنني أريد أن أذهب لفلسطين ! فلما قيل لها وماذا تفعلين هناك وأنت امرأة حطمة عجوز؟ قالت : نعم إنني لا أستطيع أن أحارب ، ولكني أستطيع أن أغسل ملابس أولئك المجاهدين الأبرار !

إن أفغانستان بلاد إسلامية حقة . . وهي جديرة بأن يعنى العالم الإسلامي بأمرها ، وأن يوثق ما بينه وبينها من الصلات .

أفغانستان كأنك تراها

بقلم محمد هارون المجددى

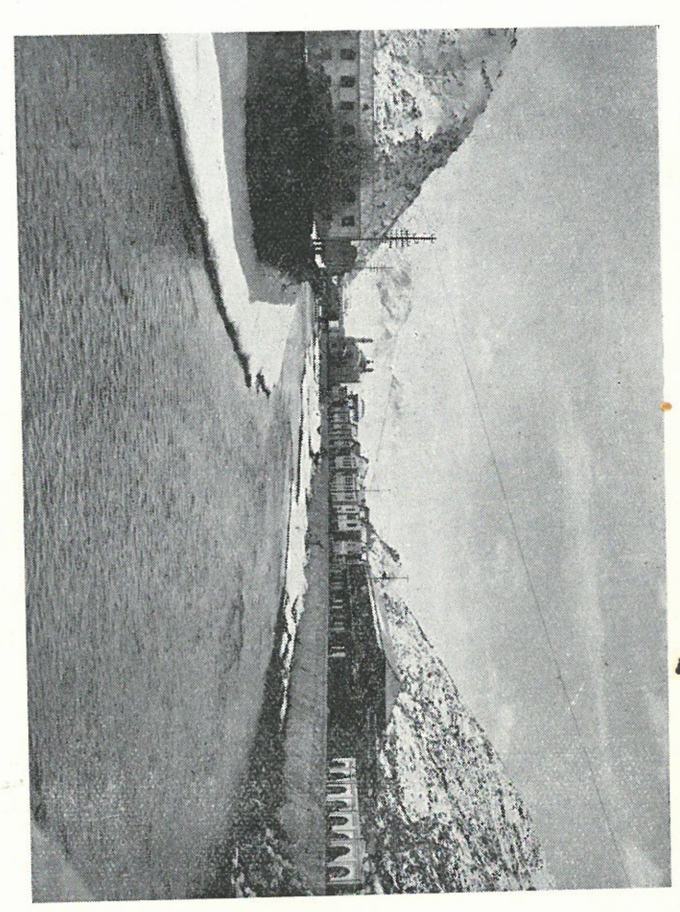
إن الذى شبه أفغانستان فى آسيا بسويسرا فى أوربا قد أصاب عين الحقيقة بهذا التشبيه ، فطبيعة كلا البلدين جبلية ذات سلاسل من الجبال تنبع فيها العيون والأنهار ، كما أن موقع كليهما داخل القارة قد حرمهما من أى اتصال ببحر أو محيط ؛ وكما أن سويسرا بحيادها تعتبر دولة حاجزة فى أوربا ، فأن أفغانستان أيضاً بحيادها تعتبر دولة حاجزة فى جنوب غرب آسيا . والطبيعة فى أفغانستان جميلة رائعة ، وكان تنوع ألوانها سبباً من أسباب جمالها ، ومن أسباب غناها وخصبها أيضاً ؛ ففى سهولها يزرع القطن والحبوب المختلفة وقصب السكر والأثمار والخضر المختلفة ، وفى وديانها وعلى سهول مرتفعاتها تجد أشجار الخوخ والتفاح والكمثرى والسفرجل والرمان والكريز والوشنة والموالح وأشجار اللوز والصنوبر والفستق والمطاط والأبنوس ؛ أما الكروم فكثيرة ومختلفة الأنواع شديدة الحلاوة وكان يمكن أن تكون للدولة مورد مال عظيم لو استخرجت منها المشروبات الروحية ، ولكن الدولة تنفيذاً للقانون الإسلامى العام حرمت صناعة الخمور وتجارتها وبالتالى شربها ، والحكومة هى التى تورد للمفوضيات الأجنبية ما

تحتاج إليه من الخمور طبقا للبيان الرسمى الذى تقدمه كل مفوضية

وجبال أفغانستان مغطاة بغابات جميلة ، وفيها أشجار مختلفة الأنواع والأطوال ؛ وتوجد فيها الحيوانات المستأنسة مثل الأبل والخيول والحمير والبغال والأغنام والجاموس والبقر وغير ذلك ، وفيها من الحيوانات الوحشية الثعالب والضباع والأسود ، ومن الطيور الصقر والبازى والأوز والبط وطيور الزينة ذات الألوان الخلابة والأصوات اللطيفة .

وتحكم أفغانستان اليوم بالنظام النيابى وفيها (مجلس الشورى) الذى يسمى فى مصر مجلس النواب ، و(مجلس الأعيان) الذى يقابله فى مصر مجلس الشيوخ . وتتكون الحكومة الأفغانية من عدة وزارات وهى : وزارة الحربية ، وزارة الخارجية ، وزارة الداخلية ، وزارة العدل ، وزارة المالية ، وزارة المعارف ، وزارة الاقتصاد الوطنى ، وزارة الفوائد العامة ، وزارة الصحة ، وزارة الزراعة ، وزارة المطبوعات ، وزراة المعادن .

وفى أفغانستان جيش قوى منظم مدرب على أحدث الطرق والنظم ، ويربى عدده على مائة ألف جندى فى أيام السلم ، وتستطيع أفغانستان أن تحشد مليون جندى فأكثر ؛ والشعب الأفغانى شعب حر بطبيعته يحب البندقية كحبه فلذة كبده ، ويأبى أن يقدم هدية الرشد لابنه إلا بندقية يستعملها فى الصيد والقنص فى السلم ، وفى الدفاع عن العرض والوطن يوم يدعوه الوطن للدفاع عنه .



إحدى مظاهر العمران الحديث فى «كابل» عاصمة أفغانستان

والشعب الأفغانى شعب يحب السلام لأن دينه الإسلام ، ولكن إذا اعتدى عليه فهو يعرف كيف يرد العدوان ؛ ثم هو شعب يحب العلم والفن ، ويود أن يكون من بين أبنائه جهابذة العلماء والمخترعين ، ولذلك تجتهد الحكومة كى تنشر التعليم بين طبقات الشعب ، وكى يستفيد كل نابغة من الثقافات المختلفة . والتعليم فى أفغانستان بالمجان فى كل مراحله : من الابتدائى إلى العالى .

وفى أفغانستان كثير من المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ؛ وجامعة كابل عاصمة أفغانستان تتكون من كليات العلوم ، والطب ، والعلوم السياسية ، والآداب . والحكومة الأفغانية جادة فى استكمال كليات هذه الجامعة .

وهنالك مدرسة خاصة بالعلوم الدينية واللغة العربية تسمى (دار العلوم الشرعية) وتشبه الدراسة فيها — إلى حد كبير — الدراسة فى القسم النظامى للازهر ، وينتهى الطالب فيها من الدراسة بعد قضاء ١٢ سنة فى مراحلها المختلفة ؛ وهناك « الكلية الشرعية » فى يغمان ويشرف على تدريس العربية فيها أساتذة مصريون ، كما يوجد أساتذة مصريون فى كلية الحقوق بجامعة كابل ثم إنك تجد فى كل قرية من قرى أفغانستان فى مسجدها الجامع ، عدداً من طلبة العلم يتلقون العلوم عن إمامه فى الفنون المختلفة ، ويساعد هؤلاء أهل القرية فى مأكلهم وملبسهم ، ولا توجد قرية أفغانية تخلو من هذا النوع من الدراسة

التى يرجع إليها الفضل الأكبر فى انتشار الثقافة الدينية فى ربوع أفغانستان . والقوم هنالك يجتمعون من تلقاء أنفسهم فيجمعون التبرعات ويقدمونها لحكومتهم طالبين منها إنشاء مدرسة حكومية فى قريتهم .

وليس فى أفغانستان إلى الآن اختلاط بين الذكور والإناث ، والأفغانيون يسمون المرأه (المستورة) .

وكذلك لا توجد فى أفغانستان إلى الآن مراقص وأماكن للهو الفاسد المفسد ، وهم يفتخرون بذلك ويباهون به ويعدونه من أسباب قوتهم وعفتهم .

وبما أن الدين الإسلامى قدفرض طلب العلم على المسلمين جميعاً ، فقد أنشأت الحكومة نظاماً خاصاً لتعليم البنات ، وراعت فى تعليمهن هذا التقسيم الثلاثى :

١ — التعليم بالنسبة للتى تكتفى بطرف منه — إما مراعاة لاستعدادها الطبيعى أو خضوعاً لظروفها الشخصية كى تجابه الحياة العملية فى أقرب وقت — وقد لوحظ فى وضع برنامج التعليم لهؤلاء أن يتعلمن القراءة والكتابة، ثم يلممن إلمامة عابرة بالثقافة العامة وشؤون الحياة ؛ هذا من الناحية النظرية ، أما من الناحية العملية فإنهن يتلقين الدروس فى الطهى والخياطة وفى التدبير المنزلى وتربية الأطفال وما إليها .

٢ — التعليم بالنسبة للتى تريد التخصص فى الناحية العملية، وهؤلاء بعد أن يحصلن على الشهادة الابتدائية يعكفن على تعلم فن

التوليد وتربية الأطفال والتمريض .

٣ — التعليم بالنسبة للاتى يشعرن بأهليتهن للاستمرار فى التعلم ولهؤلاء قد أنشئت (كلية المستورات) ومدة الدراسة فيها اثنتا عشر سنة.

هذا وقد أوفدت الحكومة الأفغانية كثيراً من شبابها للتعلم فى ألمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا وإيطاليا وسويسرا واليابان وتركيا ومصر . ولديها الآن متخصصون أفغانيون فى كل فرع من فروع العلوم والفنون .

ومن أهم صادرات أفغانستان فراء « قره قلى » وتعرف فى الخارج باسم فرا « استراكان » وهى مطلوبة جداً فى أسواق امريكا وأوربا ، وتصنع من هذه الفراء معاطف السيدات ، ومنذ سنة ١٩٤١ تصدر أفغانستان كل ما تنتجه من هذا الفراء إلى أمريكا وتقدر بمليونين إلى ثلاثة ملايين فروة فى العام ، وتساوى الفروة الواحدة منها فى أسواق أمريكا بين ٢٥ و ٣٥ دولاراً إذا كانت مدبوغة دباغة ناقصة .

ويحتل القطن ، المكان الثانى فى الصادرات الأفغانية بعد الفراء ، وقد اتجهت العناية إلى تحسين إنتاجه فى السنوات الأخيرة ، وزرعت منه مساحات واسعة فى الأنحاء الشمالية للملكة ، وأنشئت بالقرب منها مصانع كبيرة للحلج والغزل والنسج .

ويعود الفضل فى تحسين زراعة القطن ونوعه إلى الخبير المصرى محمد محمود المتوفى فى ملوى من صعيد مصر .

ومن صادرات أفغانستان الصوف وأهميته بعد القطن ، وقد أخذ

يحتل مكاناً اقتصادياً مرموقا بفضل المصانع التى أنشئت لنفشه وغزله ، وبفضل العناية التى لاقاها من التجار. ويلى ذلك الفواكه الطازجة والمجففة ويمثل كل من قندهار وكابل وهراة المراكز المهمة لتجارة الفواكه المجففة ، وأهم سوق للفواكه الأفغانية ، الهند وباكستان ؛ كما أن اللوز والفستق والصنوبر والجوز تحتل مكانا بارزاً فى صادرات أفغانستان إلى أمريكا وأوربا .

ويلاقى المسافر على طريق أفغانستان بعض الصعوبات ، لأن طرقها وإن كانت ممهدة لم تزل غير مرصوفة ، والسبب فى ذلك أن أفغانستان لم تستفد بعد مما لديها من آبار البترول ، وهى تستورد كل المواد التى تستخرج من البترول من الخارج، بما فيها القار ؛ وتنقل كل شىء بوساطة السيارات ؛ وقد أخذت الحكومة تهتم برصف الطرق منذ قريب ، وقد تم وصف معظم شوارع العاصمة؛ كما بدأ رصف بعض الطرق العامة .

أيها القارىء الكريم ، ليست فى أفغانستان جاليات أجنبية مطلقاً ، عدا الموظفين الرسميين للدول الصديقة لأفغانستان ، والإخصائيين الفنيين الذين تستقدمهم حكومة أفغانستان . ولا يجوز لأى أجنبى أن ينشيء شركة أو مدرسة أو مصنعاً فى أفغانستان . كما لا يجوز له أن يمتلك عقاراً أو أرضاً فى تلك البلاد . ولقد كانت أفغانستان مستطيعة أن تستفيد كثيراً من الأموال الأجنبية ، وكانت الشركات

الأجنبية تتهافت عليها ، وكان من الممكن أن تكون لديها الآن السكك الحديدية والطرق المقيرة ، وأن تستخرج مواردها البترولية ، ولكنها حرمت نفسها من كل تلك المزايا لتستطيع أن تحافظ على استقلالها وشرفها وحريتها .

إن أفغانستان ماضية إلى الأمام بأقدام ثابتة وبأموالها الخاصة ، وهى مؤمنة إيماناً قوياً بأنها ستصل يوماً ما إلى أهدافها ، وإلى أنها ستركب نفس القطار السريع الفاخر الذى سبقها الآخرون إلى ركوبه ؛ تركبوه ، ولكنها حين تركب ذلك القطار سيكون رأسها مرفوعاً .

وإنها لخلاصة وجيزة أقدمها إلى أولئك الذين يخصون وطنى المحبوب بكثير من الود والإخلاص ، ويهمهم أن يعرفوا كل صغيرة وكبيرة عن أفغانستان ، أولئك الذين يترقبون أخبار نهضتها وقلوبهم عامرة بالآمال الجسام ، والله الكريم العلى القدير أسأل أن يجعل بلادى العزيزة عند حسن ظن أصدقائها ، وأن يرشد بفضله وكرمه المسؤولين فى تلك البلاد إلى أقوم الطرق وأحسن السبيل ، وأن يهديهم الصراط المستقيم .

أفغانستان فى تاريخها السياسى

بقلم محمد هارون المجددى

إننى إذ أتحدث إليك أيها القارئ الكريم عن وطنى المفدى تتراءى أمام عينى مواقف مشرفة للأمة الباسلة التى عبر عنها ابنها البار زعيم الشرق « السيد جمال الدين الأفغانى » رحمه الله بقوله : إنها أمة معروفة بعزة النفس ، وشدة البأس ، وعلو الهمة ، لم تسمح نفوسها بأن تستظل بظل العجز ، ظل المكر والحيل والخداع القاضى على المستظلين به بالذل والهوان ، ولم ترض الدخول تحت حماية المستعمرين ، بل قادها شرف النفس لاختيار الموت الفاضل على الحياة الدنيئة تحت سطوة الأجنبى ، وإن اقترنت برغد العيش وطيب المطعم والمشرب »

صمود أفغانستان فى وجوه الفاتحين

إن أفغانستان وإن كانت معروفة منذ القدم بالشجاعة والإقدام إلا أنها بعد دخولها فى الإسلام ازدادت شجاعة وتضحية ، وبجهود أبنائها شع نور الإسلام فى ربوع الهند ، وكانوا المجاهدين المخلصين الذين يرون الجنة فى ظلال السيوف ؛ ولقد علم أعداء الإسلام هذه الروح القوية فى الأفغانيين ، فعملوا جاهدين على قص أطراف أفغانستان ،

وسلخ كثير من المقاطعات التابعة لها ، والقضاء على استقلالها ؛ وهم وإن نجحوا فى اغتصاب كثير من الأراضى التى كانت تسيطر عليها أفغانستان فأبعدوها عن البحر وأدخلوها فى قلب الجبال — لم يستطيعوا أن يحكموها بأنفسهم ، بل بواسطة أعوان لهم من الأفغانيين . ولقد شاء الله لهذه الأمة أن تحيا حرة ، وأن تطرد كل جيش يحاول احتلال بلادها ، ولم يعتد عليها من ناحية المحيط الهندى إلا البريطانيون بعد أن استولوا على الهند ؛ ذلك لأن أفغانستان مفتاح الهند منذ القدم . وقد كانت وفود المهاجرين فى القرن السادس عشر قبل الميلاد تضطر فى ذهابها إلى شرق آسيا وجنوبها ، لأن تخترق أفغانستان رغم وعورة أرضها ؛ والإسكندر المقدونى الذى امتدت فتوحاته حتى أواسط آسيا لم يحرز النصر فى البنجاب ثم فى بلوخستان إلا بعد أن اخترق جبال هندوكش القائمة على الحدود بين أفغانستان والهند ؛ وظهر الدين بابر مؤسس دولة المغول فى الهند سنة ٩٣٣ لم يتمكن من تأسيس تلك الإمبراطورية إلا بعد استيلائه على « كابل » عاصمة أفغانستان .

وابتدأ التجار البريطانيون يدخلون أفغانستان فى القرن السابع عشر من الموانئ التى كانت لها على المحيط الهندى فى بلوخستان . وكما تحولوا فى الهند من تجار إلى حكام ، كذلك أرادوا أن يصلوا من الطريق نفسها إلى السيطرة على أفغانستان . ولم يهتم البريطانيون بأفغانستان اهتماماً جدياً إلا فى عام ١٧٩٨ حين كان نفوذ الفرنسيين

ينازع نفوذ البريطانيين فى « حيدر آباد » و « ميسور » . ولقد استطاعت بريطانيا أن تعقد محالفة مع نظام حيدر آباد طرد بموجبها الفرنسيون من تلك البلاد . أما سلطان ميسور الذى رفض طرد الفرنسيين فقد استولت على بلاده « شركة الهند الشرقية » وعهدت بإدارتها إلى موظفى الشركة المدنيين والعسكريين .

وفى سنة ١٨٠٥ تمكن الإنجليز من الاستيلاء على الهند وأصبحت حدودها الشمالية الغربية نهر الستلج حيث تقع ولايات السند والبنجاب التابعة لحاكم أفغانستان فى ذلك الوقت ، وكان حاكم الهند « مدير شركة الهند الشرقية » قد استطاع أن يتفق مع شاه إيران فى عام ١٨٠٠ على مساعدته ضد أمير أفغانستان الذى كان قوياً ، إلا أنه حصل ركود فى تنفيذ المعاهدة إلى عام ١٨٠٨ لأن نفوذ الفرنسيين كان قوياً فى إيران . ثم تمكن سفير إنجلترا فى إيران أن يحيى تلك المعاهدة فعاد التحالف بين انجلترا وإيران بمعاهدة طهران عام ١٨١٤ ، وبإحياء تلك المعاهدة خفت مخاوف إنجلترا من جهة أفغانستان على الهند وحلت محلها روسيا .

إيران والأفغان

وابتدأ الإيرانيون يحاولون توسيع مملكتهم على حساب أفغانستان ، فبذلوا جهوداً جبارة للاستيلاء على هراة وقندهار من المقاطعات الأفغانية ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، إلا أن هراة أصبحت

مقاطعة يحكمها حاكم مستقل فى عام ١٨٣٣ لأن أمير أفغانستان كان فى حرب مع مهراجا البنجاب ، وفى هذه السنة ابتدأت سياسة إيران تنحاز لجانب روسيا ؛ وهنا ابتدأ الإنجليز فى اتباع خطة مضادة تكفل لهم النجاح فى سياستهم إزاء إيران التى انحازت إلى روسيا ، فأوفدوا فى سنة ١٨٣٧ بعثة إلى أمير أفغانستان ، كانت تجارية اسماً ، إلا أنها كانت موجهة إلى الأمير لعقد السلام بينه وبين مهراجا البنجاب ، ولمعرفة مقاصده السياسية ، وعمل تقرير شامل عن حالة البلاد السياسية والاقتصادية ؛ وبعد مباحثات وافق الأمير على اقتراح البعثة بوقف رحى القتال بينه وبين مهراجا البنجاب ، بشرط أن ترد له مقاطعة « پشاور » التى أخذتها منه قبائل السيخ ؛ فطلبت البعثة البريطانية من حكومة الهند أن تعمل على رد پشاور إلى أفغانستان نظير مبلغ من المال تدفعه إلى حاكم البنجاب .

وحين كانت البعثة البريطانية فى كابل ، وصلت إليها بعثة روسية كان من أهم أغراضها إقناع أمير أفغانستان بالتنازل عن هراة لإيران فى مقابل مساعدته ضد قبائل السيخ وتمكينه من احتلال پشاور .

ولم يكن أمير أفغانستان يصادق الانجليز أو يجامل روسيا إلا لهذين الغرضين ، وكانت يده ممدودة إلى من يساعده على تحقيق بغيته ، وكان البريطانيون غير جادين فى أن ترد پشاور إلى أفغانستان ، فاتجه أمير أفغانستان نحو الروس ، لأن أكبر ما كان يشغله هو

استرداد پشاور ، أما هراة فكان مطمئناً إلى أنها ستبقى أفغانية ؛ ولما أحست إنجلترا بذلك عملت على خلع الأمير الأفغانى ، فكانت الحرب الأولى بين الإنجليز والأفغانيين ، واستطاعت فيها الجيوش البريطانية أن تحتل كابل بعد خسائر فادحة ، إلا أنه لم يمر قليل من الوقت حتى هاجمها الأفغانيون فى ثكناتها من كل صوب ، فمنيت الجيوش البريطانية بكارثة لم تر لها بريطانيا مثيلا ، وفقدت على أثرها شهرتها الذائعة بأن قواتها لا تنهزم ، ولم يرجع من تلك القوة الاحتلالية المعتدية جندى بريطانى واحد إلى الهند. وقد قرأت لكاتب بريطانى فصلا يذكر فيه تلك الحادثة ويصف الأفغانيين بالتوحش... فحمدت الله على الوحشية التى رد بها الأفغانيون عدوان المعتدين على وطنهم العزيز بقواهم المدمرة ، وقلت فى نفسى إذا كان من الوحشية أن يسترد شخص حقه المسلوب بالطريقة التى أخذ بها هذا الحق منه فمرحباً بالوحشية !

وقامت الحرب الثانية بين أفغانستان وبريطانيا فى يناير سنة ١٨٧٩ .

ظهور الأمير عبد الرحمن خان

وفى هذه المرة هاجمت الجيوش البريطانية أفغانستان من ثلاث

جهات ، وبعد تضحيات جسيمة وصلوا إلى كابل ، إلا أن الحكام الأفغانيين وزعماءهم تركوا أماكن الاحتلال ، فواجهت انجلترا مشكلة حكم أفغانستان ومن يحكمها كأمة واحدة ، وبدأوا يفكرون فى قسمتها إلى مقاطعات مستقلة ؛ وهنا ظهر أمير قوى فى تلك البلاد كان ينظم حركة المقاومة ، هو الأمير عبد الرحمن خان ؛ فاضطر البريطانيون إلى أن ينبذوا فكرة التقسيم ، وأن يتفقوا مع هذا الأمير ، ولكنهم لم يستطيعوا الاتفاق معه إلا بعد أن تعهدوا بالجلاء عن البلاد ؛ وفعلا ابتدأ الجلاء عن أفغانستان ، على ألا ينشىء الأمير الأفغانى علاقات سياسية مع دولة أجنبية غير بريطانيا ، وتعهدت بريطانيا أيضاً بعدم التدخل فى شؤون حكومة أفغانستان الداخلية ، وبأن تمد الأمير بالمساعدات اللازمة إذا هوجمت أراضى بلاده ؛ وفى سنة ١٨٨١ تم جلاء البريطانيين عن جميع مناطق أفغانستان .

وقد كسب الإنجليز منذ تحرشوا بأفغانستان إلى ما بعد انتهاء الحرب الثانية مكاسب ذات شأن ، ذلك أنهم :

١ ــ تمكنوا من الاستيلاء على ممر خيبر الحربى المشهور بأكمله ، وبذلك سلخوا أهم نقطة استراتيجية من أفغانستان .

٢ ــ استولوا على وادى كرام الذى يعتبر المنفذ الثانى إلى أفغانستان من جنوبها .

٣ ــ احتلوا منطقة كويته ببلوخستان .

وبتنازل الأمير عبد الرحمن خان عن حقوقه السياسية الخارجية صارت إنجلترا هى المباشرة لتلك الشؤون مع الدول الأخرى ، فدخلت فى مفاوضات مع روسيا وحددت معها الحدود الأفغانية بالبروتوكول الخاص بها فى أغسطس ١٨٨٧ ، كما عقدت معاهدة حدود مع إيران بشأن أفغانستان .

وسارت الأمور هادئة فى أفغانستان ، واستمرت علاقاتها مع بريطانيا على أحسن وجه حتى إذا توفى الأمير عبد الرحمن خان ، سنة ١٩٠١ وتولى الإمارة ابنه الأمير حبيب الله خان جددت المعاهدات بينه وبين بريطانيا ؛ وفى عام ١٩١٤ حين أعلنت الحرب العالمية الأولى ، أعلن الأمير حبيب الله خان حياد بلاده التام ؛ ومع أن تركيا وألمانيا حاولتا إثارة الأفغانيين ضد الإنجليز ، وأرسلتا إلى بلاط الأمير بعثة خاصة لذلك ، فإن الأمير لم يوافق على نقض المعاهدات الودية التى بينه وبين بريطانيا .

إمارة أمان الله

وعند انتهاء الحرب العالمية قتل الأمير حبيب الله خان فى ظروف لا تزال غامضة إلى اليوم ، وفى سنة ١٩١٩ اعتلى ابنه الأمير « أمان الله خان » عرش أفغانستان ، وكانت سياسته قائمة على إعلان الجهاد ضد الإنجليز بإثارة القبائل الضاربة على الحدود الهندية الأفغانية

ضد البريطانيين ، إلا أن الحرب الفعلية ابتدأت بين أفغانستان وبريطانيا فى مايو سنة ١٩١٩ ، وقابل البريطانيون الأفغانيين بجيشهم الحديث ومعداتهم القوية ، وألقت طائراتهم القنابل على عاصمة أفغانستان .

وفى الوقت الذى كان المجاهدون الأفغانيون فيه يتوغلون فى الهند فى ساحة من ساحات القتال، كان البريطانيون لا يستطيعون التقدم فى أى منطقة من مناطق أفغانستان ؛ واستمر القتال إلى أغسطس من تلك السنة ، ثم وقف وأبرمت بين الدولتين معاهدة السلام، واتفق الطرفان على الحدود التى كانت عليها أفغانستان حين اغتيل الأمير « حبيب الله خان » . وابتدأت المفاوضات بين الدولة الأفغانية المستقلة وبريطانيا ، وفى نوفمبر سنة ١٩٢١ أبرمت معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين الملك « أمان الله خان » وبين الإنجليز .

وبإبرام تلك المعاهدة الجديدة حددت العلاقات بين أفغانستان وبريطانيا تحديداً تاماً ، وأصبحت أفغانستان دولة مستقلة استقلالا تاماً لا تربطها بانجلترا إلا معاهدة صداقة فقط . ورفرف على المملكة الأفغانية علم مثلث الألوان (أسود ، أحمر ، أخضر) إشارة إلى المراحل الثلاث التى مرت بها البلاد، من احتلال، وجهاد، واستقلال ؛ ويزين قلب هذا العلم الشعار الأفغانى ، وهو صورة للمسجد بمحرابه ومنبره ، إشارة إلى أنها دولة إسلامية ، وتحيط بالشعار هالة من سنابل

القمح إشارة إلى أنها دولة زراعية .

وكانت روسيا أول دولة بعد إنجلترا اعترفت باستقلال أفغانستان وأنشأت لها سفارة فى كابل ، ثم تبادلت أفغانستان التمثيل السياسى مع إيران وتركيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، ثم دخلت عصبة الأمم ، ثم سافر الملك « أمان الله خان » فى رحلة إلى خارج أفغانستان مر فيها بالهند ومصر وممالك أوربا وتركيا وروسيا وإيران ، وحين رجع إلى أفغانستان استقبل استقبالا لا نظير له .

الخطأ الذى ارتكبه أمان الله

إلا أن الملك أمان الله كان شاباً طموحاً، وقد ظن أن التقدم الذى وصل إليه العالم الغربى إنما وصل إليه عن طريق نبذ التقاليد وإغفال الدين ، وحسب أنه يستطيع أن يكون مصطفى كمال أفغانستان . وقد نصحه زعماء أفغانستان وطلبوا منه ألا يسير فى هذه الطريق التى تؤدى به وبأفغانستان إلى الهلاك ، وكان على رأس هؤلاء الزعماء سعادة السيد محمد صادق المجددى وزير الأفغان المفوض الآن بمصر ، وقد أعلن سعادته سخطه على أعمال الملك وعدم موافقته على السير ضد الشريعة الإسلامية والتقاليد الأفغانية ، فزج به فى السجن مصفداً بالسلاسل والأغلال ، وحكم عليه وعلى زملائه بالإعدام؛ وقد نفذ حكم الإعدام فعلا فى أربعة من زملائه، ولكن الملك أمان الله

خان لما رأى نيران الثورة تحيط به من كل جانب سخطاً على هذه السياسة الفاسدة ، جاء إلى السيد المجددى فأفرج عنه وطلب منه العون على إخماد الثورة ، فقدم له كل معونة مستطاعة ، غير أن الله سبحانه أراد غير ذلك ، وكان من سوء حظ ذلك الملك أن وزراءه لم يخدموه بحسن نية ، بل كان بينهم أشخاص يعملون لأنفسهم ، فخدعوه ، وأدخلوا فى عقله أن الشعب الأفغانى فى يده يستطيع أن يسيره كما يشاء ، ونسى الملك أن شعبه شعب متدين محافظ ، فعصفت ثورة الشعب بعرش الملك المتين ، ولم تمض أسابيع حتى كان الملك أمان الله خان قد ترك العاصمة وفر هارباً . فانتهز الفرصة زعيم فرقة من فرق الثوار القريبين من العاصمة يسمى حبيب الله المشهور بـ « بجه سقا » وقد كان قبل الثورة قاطعاً للطريق ، فدخل العاصمة بعد هرب الملك ؛ وأراد الله أن يستولى على الأمر وأن ينادى بنفسه ملكاً على أفغانستان . ولكن كيف يتربع قاطع طريق على عرش أفغانستان ؟

لذلك استمرت الثورة إلى أن رجع إلى أفغانستان بطل استقلالها وقائد جيوشها المنتصرة فى جهاد الاستقلال « محمد نادر خان » وقد كان مقيماً فى باريس إثر خلاف بينه وبين الملك أمان الله خان بعد حرب الاستقلال ؛ فانضم إليه سماحة نور المشايخ « فضل عمر المجددى » — الشقيق الأكبر للسيد المجددى وزير الأفغان المفوض الآن بمصر ، وقد كان بالهند — ونظما معاً حركة المقاومة لإنقاذ الوطن من براثن

اللصوص ؛ ولما علم بذلك « بجه سقا » حبس السيد محمد صادق المجددى مرة أخرى ؛ ولقد شاء الله أن يكون إنقاذ أفغانستان على يد هذين البارين من أبنائها ، وهكذا أنقذت العاصمة من الحكام اللصوص ونودى بـ « محمد نادر خان » ملكاً على أفغانستان ؛ وحينذاك هدأت الأحوال فى جميع أنحاء أفغانستان ورجعت المياه إلى مجاريها .

عهد جلالة الملك نادر خان

بذل جلالة الملك « محمد نادر خان » جهد الجبابرة لإحياء المملكة بعد أن كانت الثورة قد أكلت الأخضر واليابس ، إلا أنه بعد ثلاثة أعوام من ملكه قتل غيلة بيد شاب كان مغرماً بأفكار أمان الله خان ، ولم يدر هذا الشاب أن وطنه قد خسر رجلا كان من أعظم رجاله ، وكان وطنه فى أمس الحاجة إلى عقله وتدبيره ، فنودى بابنه الأمير « محمد ظاهر شاه » الملك الحالى ملكاً على البلاد .

جلالة الملك المحبوب ظاهر شاه

إن صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » شاب ممتلىء القلب إيماناً بربه وبوطنه ، مفعم النفس إعجاباً بشعبه المخلص له ؛ فهو يبذل كل وقته فى خدمة شعبه الباسل ، تساعده حكومة قوية ، كان يرأسها إلى ما قبل سنوات سمو عمه الأمير « محمد هاشم خان »

الذى قاد سفينة البلاد فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة بمهارة ، فحافظ على حيادها التام ، وأنقذها بذلك من دمار تلك الحرب الضروس ، وكانت علاقات أفغانستان السياسية طوال الحرب قائمة على المودة مع جميع الدول ، الحلفاء منها والمحور . وفى عهد وزارته التى دامت ١٧ عاماً تبادلت أفغانستان التمثيل السياسى مع مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وأمريكا واليابان والصين . ويرأس الحكومة الآن سمو الأمير « شاه محمود خان » عم جلالة الملك المعظم ، وهو العسكرى الأول فى أفغانستان ، وكان قبل توليه رئاسة الوزارة وزيراً للحرب .

مؤتمر سنة ١٩٤١

وهنا يشرفنى أن أذكر بفخار ، شيئاً عن المؤتمر العام الذى عقد فى أفغانستان فى (٥ نوفمبر ١٩٤١) بعد أن اجتيحت الأراضى الإيرانية ، فى ذلك اليوم الذى سيسجل بمداد من الذهب فى تاريخ أفغانستان ، انعقد المؤتمر الوطنى العام ، فحضره أعضاء جمعية العلماء ، وحضرات السادة الروحانيين ، وأعضاء مجلسى الشيوخ والنواب ، والوزراء ووكلاء الوزارات ، وزعماء العشائر والقبائل ، وكبار الموظفين العسكريين والمدنيين .

وافتتح جلالة الملك المؤتمر بكلمة تفيض إخلاصاً ووطنية ، أعلن بها حياد بلاده التام ؛ ثم أناب عنه سمو عمه الأمير « محمد هاشم خان »

رئيس الوزراء إذ ذاك . وكان يشرف على المؤتمر حضرة صاحب السماحة نور المشايخ « فضل عمر المجددى » وقد كان الغرض من المؤتمر أن يقرر السياسة التى يجب أن تسير عليها أفغانستان بعد محالفة إنجلترا لروسيا واحتلالهما لإيران وتحرشهما بأفغانستان ؛ وقد شرح معالى « على محمد خان » وزير الخارجية لأعضاء المؤتمر ، الحالة السياسية السائدة فى العالم ، والسياسة التى سارت عليها الحكومة الأفغانية لحين افتتاح المؤتمر

ثم ألقى كثير من أعضاء المؤتمر كلمات فياضة ، فقال سماحة نور المشايخ المجددى : « إن المعلومات التى ألقاها علينا معالى وزير الخارجية تثبت أن حكومتنا لم ترتكب إلى الآن أمراً فيه مضرة للدين أو يعود بأضرار على شرف واستقلال أفغانستان . وإننا واثقون من أنها لن ترتكب مثل هذا الأمر ؛ ونحن معشر الأفغانيين لنا تاريخ مجيد نفخر به ، وهو يشهد بأننا قد ضحينا بدمائنا ودماء أولادنا للدفاع عن ديننا وشرفنا ، ونحن الآن وفى كل حين مستعدون لذلك الفداء . إن الدفاع عن الدين والشرف والاستقلال أمر واجب حتمى ، فالله جل شأنه أمرنا به ، والنبى صلى الله عليه وسلم أرشدنا إليه ، وآيات القرآن الكريم تقول لنا : دافعوا عن دينكم ، دافعوا عن استقلالكم ، لا تبخلوا فى سبيل ذلك بدمائكم ودماء عساكركم ، بل وبدماء نسائكم . وإنى أحمد الله العلى القدير على أننا جميعاً مسلمون ، وأننا جميعاً أفغانيون ، وأن مليكنا

الشاب وحضرات أعمامه الكرام وأفراد الأسرة المالكة ورجال الجيش مسلمون غيورون ؛ فإذا لحق بشبر من أرض بلادنا ضرر ما ، أو أخل شخص بشرفنا واستقلالنا ، فنحن للبذل والدفاع حاضرون مستعدون » .

ومما جاء فى كلمة سمو الأمير « شاه محمود خان » وزير الحربية إذ ذاك ورئيس الوزارة الآن : « أشكر الله العلى القدير على أننا جميعاً مسلمون، وأننا نحيا فى مملكة إسلامية ؛ والحمد لله على أن الشعب الأفغانى شعب مسلم صادق الوعد والعزيمة . إن هذا الشعب يشغل فى خريطة العالم نقطة صغيرة نائية ، ولكن من فضل الله ورحمته عليه، وبفضل شجاعة أبنائه واستعدادهم على الدوام للبذل والتضحية عاش هذا الشعب دائماً بين أحضان الحرية، وسيعيش إن شاء الله إلى الأبد حراً مستقلا . إننا سوف ندافع عن بلادنا إلى آخر فرد ، ولن نسمح لأحد أن ينال من شرفنا واستقلالنا ، وإننا جميعاً قد تركنا كل اختلافاتنا ومنازعاتنا وراء ظهورنا ، وإلى أن تنطفىء شعلة هذه الحرب الضروس سيكون كل اختلاف بيننا نسيا منسياً » .

وفى نهاية المؤتمر اتخذ المجتمعون القرار الآتى :

« إننا أعضاء المؤتمر الوطنى العام، طبقاً لاختياراتنا الشعبية المخولة لنا، نعلن على رءوس الأشهاد أن أفغانستان بلاد محايدة ، وتريد أن تحيا فى عالم الصلح والسلام ، ولا سيما مع جيرانها ؛ وأن أفغانستان ليست

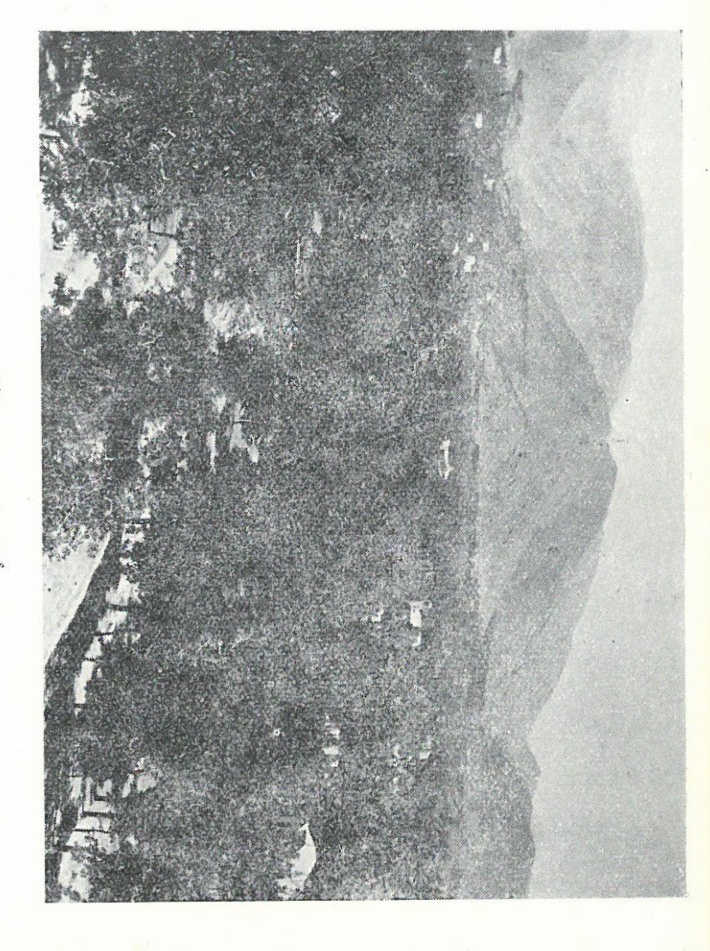
مستعدة لتنفيذ رغبات الآخرين ولا مطالبهم ، إذا كانت تلك المطالب والرغبات ضد شرفها وحريتها واستقلالها التام ؛ بل ليس عندها أقل استعداد لبحث تلك الرغبات والمطالب . وأن الشعب الأفغانى لن يعطى فرصة لأية حكومة أجنبية بأية صورة كانت أو لأى غرض كان أن تحتل جزءاً من البلاد الأفغانية لمقاصد عسكرية أو للانتفاع بسماء هذه البلاد المحبوبة .

« والشعب الأفغانى لا يوافق مطلقاً على أن تعطى الحكومة أية امتيازات استثنائية مؤقتة إلى الآخرين طوال مدة الحرب ، ولا يرى أن تدخل الحكومة فى معاهدات جديدة مع حكومات أجنبية، إذا كانت تلك المعاهدات تضر بحياد البلاد أو تمس استقلالها . ولن يرضى الشعب الأفغانى مطلقاً أن يخل أحد بحقوقه الدولية المعترف بها كدولة مستقلة استقلالا تامًّا ذات سيادة مطلقة، أو أن يخل بمعاهداته المبرمة مع الآخرين .

« إن أفغانستان لها الحق — كما كان ، وكما هو كائن ، وكما سيكون — فى أن تحافظ على روابطها السياسية مع أية مملكة تريد أن تكون لها معها روابط ، وهى سوف تحافظ على حقها هذا فى المستقبل أيضاً فتقيم روابطها السياسية مع الدول كما تريد » .

وهكذا مرت حوادث الحرب الدامية المهلكة وأفغانستان هادئة مطمئنة ؛ وإنى أعتقد أن الفضل فى ذلك يعود إلى الدين الإسلامى

العظيم الذى يدين به هذا الشعب الغيور ، الدين الذى فرض عليهم الأخوة ، وجعل الدفاع عن الوطن دفاعاً عن العقيدة ، لأنه لا يمكن أمة إسلامية مستعبدة قد احتلت بلادها أن تؤدى كل ما يطلبه منها دينها الإسلامى إذا رضيت بحياة الاستعباد والاستعمار .



أفغانستان سويسرا آسيا

أفغانستان سويسرا آسيا ...

بقلم عبد الحميد الكاتب

« وهذا مقال آخر للأستاذ عبد الغنى المصرى ، يصف فيه جانباً آخر من مشاهداته فى أفغانستان . »

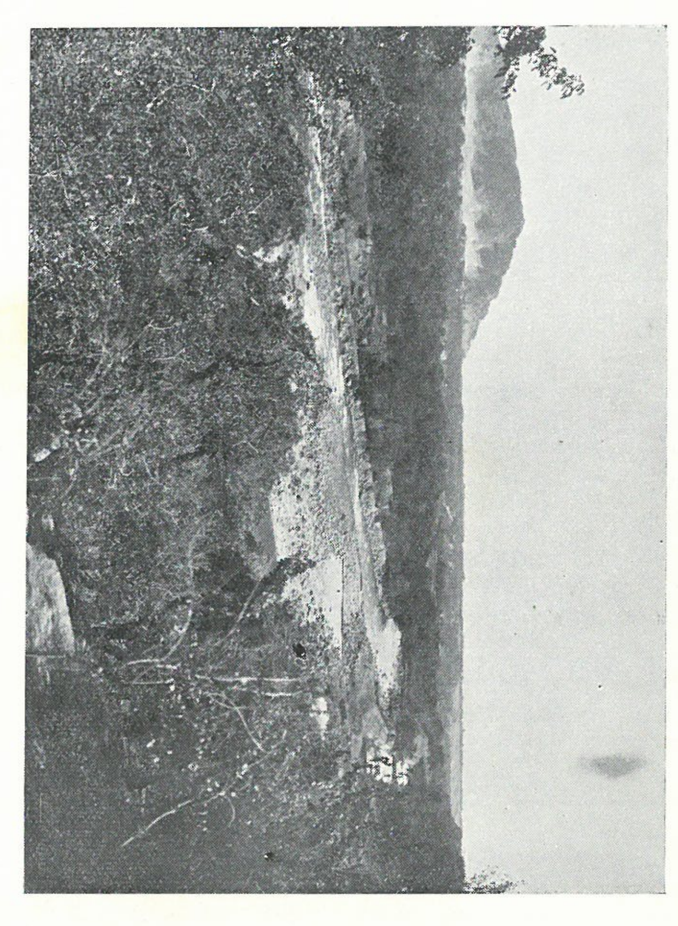
صدق من شبه أفغانستان بسويسرا ، والحق أنه لم يسرف ولم يتحيز حين سماها سويسرا آسيا . . فسويسرا التى يخف إليها الرياضى الذى يهوى الانزلاق على السفوح والثلوج ، ويسعى إليها العليل الذى يلتمس الهواء الجاف النقى ، ويأوى فيها إلى كوخ وادع على سفح التل أو شاطئ الغدير ذلك الشاعر الذى يريد أن يسرح على أجنحة الخيال إلى حيث يستلهم مفاتن الطبيعة ومغانى الدنيا — سويسرا هذه ليست أكثر جمالا ولا روعة ولا فتنة من أفغانستان ، حتى لكأن الطبيعة حين أغدقت سويسرا على قارة أوربا، شاءت ألا تحرم آسيا فأغدقت عليها أفغانستان !

فأفغانستان هى سويسرا آسيا حقا : بجبالها ووديانها ، بغاباتها وبساتينها ؛ بأنهارها وبحيراتها، بسفوحها وثلوجها، بخيراتها وفاكهتها . . . وكل ما هناك من فرق بين البلدين، هو فرق الصنعة لا فرق الطبيعة ، وفرق التجميل لا فرق الجمال ؛ ففى سويسرا أضافوا إلى الجمال الطبيعى

جمالا صناعيا ، يبدو فى فنادقها ، وبيوتها ، ومشاربها ، وملاهيها ، ووسائل المواصلات فيها . . أما أفغانستان فقد ألقت بها الطبيعة فى مكان قصى لا يؤمه الناس ، فظلت كما فطرها الله ! دون أن تمتد إليها يد الصنعة إلا قليلا . . ولو امتدت إليها فأنشأت فيها الفنادق والملاهى ، ويسرت سبل الوصول إليها ، لرأيت كثيراً ممن يخفون اليوم إلى سويسرا يولون وجوههم شطر أفغانستان !

وأروع ما فى أفغانستان هى هذه الجبال التى تحيط بالمرء من كل جانب . . فأينما كان وحيثما ذهب رأى نفسه وسط حلقة من الجبال تحيط به إحاطة السوار بالمعصم كما يقولون . . بل حتى عندما تنفرج الجبال بعضا عن بعض وينبسط فيما بينها واد سهل فسيح — كذلك الوادى الذى قامت فيه مدينة كابل عاصمة أفغانستان — تظل هناك سلسلة من الجبال الشاهقة تحيط بالمدينة وتقوم من حولها كالسور الشاهق المنيع . . الذى لا منفذ منه إلا بضعة طرق ضيقة تشققت بين الجبال ، فصارت مسالك ضرب فيها الناس على أقدامهم وفى قوافلهم قديماً ، ثم جاءت السيارات والأتوبيسات فصارت تشق بالناس هذه المسالك الوعرة !

ولا تكتفى الجبال بأن تحيط بالمدينة من كل جانب . . . بل فى قلب المدينة ذاته يقوم جبل شاهق يفصل شمالها عن جنوبها ، مثلما يفصل النيل شرق القاهرة عن غربها . . فإذا شئت أن تذهب



مفاتن الطبيعة فى أفغانستان

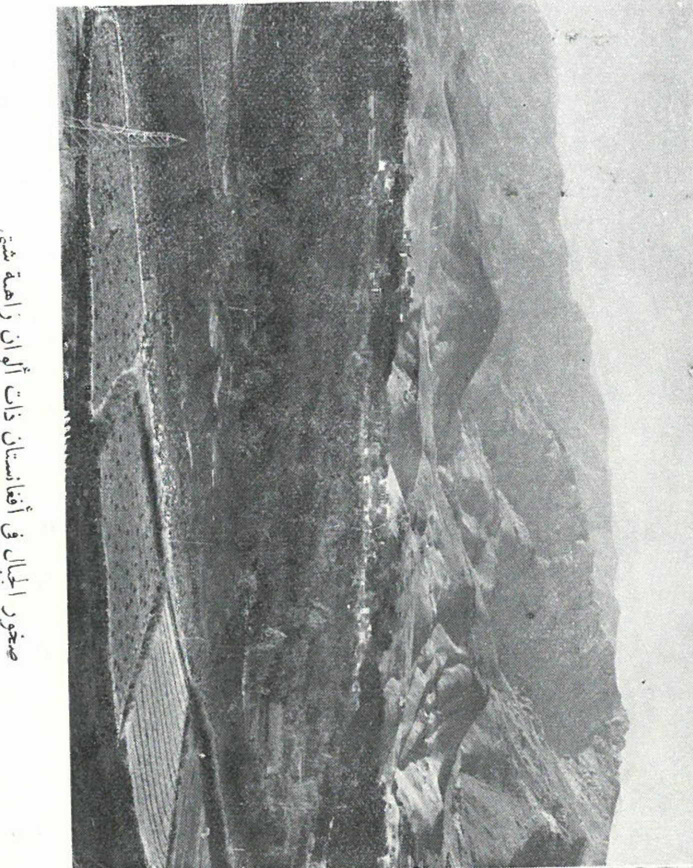
من حى إلى حى ،ولم تكن رياضيا يهوى ارتقاء الجبال وهبوط السفوح ، فعليك أن تدور حول الجبل الأشم الشامخ الذى يتوسط المدينة . .

وجبال أفغانستان ليست جبالا عارية قاحلة ، ولا داكنة كالحة — بل إن الأعشاب التى تنمو حتى تبلغ مبلغ الأشجار تغطيها وتكسوها . . فتضفى عليها لوناً أخضر ، يحمر أحياناً ويصفر أحياناً عند انتهاء الخريف وعند مقدم الربيع . . ثم إن صخور الجبال ذات ألوان زاهية شتى ، حتى ليخيل إليك أن يداً قد مرت عليها بأصباغ حمراء وخضراء وزرقاء وسوداء وصفراء يتجاوب بعضها مع بعض تجاوب الألوان فى لوحة الفنان . . بل أحسب لو أن رساماً رسم جبال أفغانستان كما هى ، بألوانها المتباينة المتجاوبة ، الصافية القاتمة ، لظن الناس أنه أسرف وغالى وأضفى عليها من عنده ألواناً وأصباغاً . . فما يصدق من لم ير هذه الجبال « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » .

وقد أسرفت فى ذكر الجبال ، حتى لأخشى أن تظن أن أفغانستان ليست إلا جبالا . . كلا . . فعلماء الجغرافيا يقولون إنه حيثما توجد الجبال توجد الوديان ، وحيثما توجد الوديان تجر الأنهار . . وحيثما تجر الأنهار وتتدفق المياه ، تحى الأرض الميتة ؛ فتخرج الشخر والثمر ؛ وتأتى بالنبت والحب ! وتخضر بالعشب والمرعى .

وهكذا أفغانستان . . وما أحسب إقليماً فى العالم فيه ما فى أفغانستان من البساتين الناضرة بالشجر ، الحافلة بالثمر ، الكريمة بالفاكهة . . وإن شئت أن تعرف فمر قليلا فى أسواق كابل، تر أكثر الدكاكين لا تبيع إلا الفاكهة ، وفى كل منها أكوام من العنب والتفاح والكمثرى والخوخ والرمان والبطيخ والشمام . . ثم عرج على دكان منها فاشتر شيئاً من الفاكهة ، ستقول فى أول الأمر : ما أرخصها ! . . فرطل العنب أو رطل التفاح لا يساوى أكثر من قرش واحد ، والبطيخة أو الشمامة الوافرة تشتريها بخمسة قروش أو ستة . . . ثم لا تلبث أن تقول ما أحلى هذه الفاكهة وما أشهاها ! فلن تذوق أحلى من عنب أفغانستان ، ولن تأكل أشهى من بطيخها ؛ والشمام الذى قلما تعثر منه فى مصر على شمامة حلوة ، لا تجد منه فى أفغانستان واحدة ماسخة ! .

وستسمع بائع الفاكهة يقول لك إن فى أفغانستان سبعين نوعاً من العنب . . وأظنه لا يغالى ؛ فإنى أرى الفقراء هنا يأكلون العنب مع العيش مثلما يأكل فقراؤنا الملح أو المش مع العيش . . وستجد أمام بائع الفاكهة ألواناً وأشكالا من العنب ، فمنه الأسود الداكن ، ومنه الأخضر الزاهى ، ومنه ما يكبر حتى يبلغ حجم الليمونة ، ومنه ما يصغر حتى يشبه حبات الذرة ، وكله يتساوى بعد هذا فى مذاقه الحلو اللذيذ ؛ أما موسمه فطويل يمتد ثمانية شهور فى السنة ،



صخور الجبال فى أفغانستان ذات ألوان زاهية شتى

ولا تحرم منه حتى عندما ينتهى فصل الدفء ويطبق على أفغانستان شتاؤها القارس الزمهرير !

ولم تغدق الطبيعة على أفغانستان فاكهتها فحسب ، بل أغدقت عليها كثيراً من خيراتها ؛ فترى الباعة فى الطرق مصطفين على الإفريز ، يبيعون اللوز والجوز والبندق والفستق والصنوبر ، مثلما يبيعون فى مصر اللب والترمس . . . بل ترى الأطفال فى الطرق يلعبون البلى ، ولكن بليهم هو ثمار الجوز.. ! وأينما ذهبت فى أرجاء أفغانستان ؛ وجدت الأشجار الباسقة التى تحمل هذه الثمار ، نامية على جانب الطرق ، وفى حدائق البيوت ،وفى حقول الزارعين . . . فهذه الشجرة التى تحمل ثمرة كثمرة البرتقال ، هى شجرة « عين الجمل » ، هذه الثمرة الجميلة التى أحاطتها الطبيعة بغلافين : غلاف أخضر كقشرة البرتقال ، ينشق عند النضج فتخرج من جوفه هذه الثمرة التى نعرفها بغلافها الصلب .

وهذه أشجار التوت تظللك أينما ذهبت ، وتجود على الناس بثمرها الجميل ، الذى طالما تغنى الشعراء بلونه القرمزى ، وطالما ذكروه كلما ذكروا شفاه الحسان وفتنة لونها ومذاق ريقها ولست أدرى ماذا يفعل التوت هنا بالشفاه ، فما رأيتها ولا رآها أحد ممن وفد إلى هذه البلاد . وكل ما أعرفه عن توت أفغانستان أن الناس يأكلونه إبان موسمه ، ثم يجففونه أو يخلطونه بالجوز ، ويأكلونه طوال الشتاء .

ولعل أروع ما فى طبيعة أفغانستان هذا التفاوت العجيب بين فصول السنة . . . فكل فصل فيها له مميزاته وخصائصه ؛ فصيفها لاهب الحرارة ، تشتد فى بعض المناطق مثلما تشتد فى صعيد مصر ، فيفر الناس من المدن إلى الريف ، يلتمسون فى رياضه وظلاله مأوى من القيظ والهجير . . وشتاؤها قارس البرودة ، لا ، فإن هذه الكلمة لا تكفى لوصف برودة الشتاء فى أفغانستان ، حيث تمطر السماء ثلجاً يغطى الأرض بطبقة ارتفاعها بضع أقدام ؛ وحيث تهبط درجة الحرارة إلى العشرين تحت الصفر فيقر الناس فى بيوتهم لا يكادون يغادرونها ، وتعطل المدارس ، وتسد الطرق ، وينفق الناس جزءاً كبيراً من مالهم فى شراء الخشب والفحم يتدفأون به ، فيبلغ ما ينفقه الرجل الثرى فى تدفئة بيته ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه فى السنة ، ففى كل غرفة مدفأة يسمونها « البخارى » الذى تراه فى كل مكان ، فى مكاتب الحكومة ، وفى دكاكين السوق ، وفى مساجد الصلاة . . أو تشق تحت أرض الغرف مجار توقد فيها النيران وتسرى فيها الحرارة .

ويتدثر الناس فى الشتاء بملابس ثقيلة من ذلك الصوف النقى الذى ينسج فى أفغانستان ، ويلتفون فى عباءات مثل اللحاف تماماً ، فهى محشوة بالقطن ... ولكن هذا لا يكفى فى بعض المناطق الشديدة الارتفاع ، فيتدثرون بمعاطف وصدريات من فراء الأغنام ذات الشعر الطويل ، ويلبسونها بحيث يكون شعرها إلى الداخل وجلدها إلى الخارج .

ولكن لا يرد زمهرير الشتاء إلا هذه النيران التى يصطليها الناس من مغرب الشمس إلى مشرقها ؛ ولهذا يقول الأفغانيون فى أمثالهم « نار الشتاء خير من الله ورسوله . . وأرجو ألا تسرع فتسىء الظن بدين الأفغان ، فكلمة « خير » هنا اسم وليست أفعل تفضيل ، يعنى : « نعمة من الله ورسوله ! »

ولعل هذا الشتاء القارس هو الذى يجعل كثيراً من الأفغان يدخلون المساجد ويؤدون الصلاة وهم منتعلون أحذيتهم التى يسيرون بها فى طرق فيها من الوحل والروث أكثر مما فى طرق القاهرة ؛ ولست أدرى حكم الدين فى هذا ، وإن كان أحد الأفغانيين قد قال لى : إن أرضنا طاهرة ، لأنها طاهرة من الاستعمار الأجنبى . . . وأظنه على حق فى هذا التفسير . . . هذا إلى أننى سمعت أن بعض فقهاء الإسلام يرون أن الصلاة لا تحل فى الأرض التى يحكمها غير المسلم .

وهذا الشتاء على برودته القارسة هو أروع فصول السنة . . . وهو الذى يجعل من أفغانستان سويسرا أخرى . . . فما يبدأ الشتاء فى منتصف ديسمبر حتى يهطل الثلج من السماء . . مثلما يهطل المطر تماماً . . ويظل يهطل أياماً وأسابيع متتالية حتى يغطى الأرض ، والشوارع ، وأسطح البيوت ، وأشجار الطريق . . . بل يغطى رجال البوليس الواقفين فى الطريق لتنظيم المرور . . كل هذا يغطى بالثلج الإبيض الناصع الجميل . . ومع هذا فإن الشمس تظل

مشرقة أكثر أيام الشتاء . وتظل سافرة ساطعة لا يكاد يحجبها غيم أو سحاب . فإذا سرت سرت فوق طبقة عالية من الجليد ، وتحت شمس ساطعة ! .

وتشرق هذه الشمس السافرة على الجليد الأبيض ، فينعكس منه ضوء لامع يخطف البصر ، ولا يستطيع المرء أن ينظر إلى الأرض إلا من خلال نظارة سوداء تقى العين من ذلك الضوء المتألق الذى ينبعث من طبقات الجليد .

ولكن الأفغان لا يغطون أعينهم بالنظارات . . . وإنما يكتحلون ، ولا سيما أهل الريف منهم . . . ذلك أن اللون الأسود يمتص الضوء الشديد ، ويقى العين من تأثيره . . فترى الرجل الوقور ذا اللحية المرسلة وقد كحل عينيه . . أو الصبى الصغير بعينين كحيلتين تتألقان فى وجه مشرب بالحمرة . . . وأما ما عدا ذلك من العيون فلم أرها !

وفى الشتاء تغطى الجبال من أعلاها إلى سفوحها بالثلوج ، فيجد فيها أولئك الأوربيون والأمريكيون الذين يعيشون هنا — وفى أفغانستان بضع مئات منهم أكثرهم من الأمريكيين الذين يعملون مدرسين ومهندسين وأطباء — ملعباً جميلا للانزلاق . . فنى يوم الجمعة والأحد ترى أسراباً من شبانهم وفتياتهم على سفوح الجبل الذى يتوسط كابل ، يتقاذفون بكرات الثلج ، ويتسلقون الجبل أو يتدحرجون عليه ...

أما أكثر فصول السنة متعة وأوفرها خيراً ، فهو فصل الخريف ، الذى يبدأ من سبتمبر وينتهى فى نوفمبر ، وفيه يعتدل الجو ويصفو ، وتكثر الفاكهة وتحلو ؛ ولهذا ينصحك الأفغان أن تزور بلادهم فى هذا الموسم الجميل .

وكما أن الفرق بين صيف أفغانستان وشتائها كبير ، فكذلك الفارق بين ليلها ونهارها . . . فنهارها دافىء ، وقلما تحتجب فيه الشمس وراء السحاب ، ولكن ما إن تتوارى الشمس وراء الجبال حتى يتحول هذا الدفء اللطيف إلى برد شديد . . . يظل يزداد شدة كلما تقدم الليل ، حتى إذا أقبل الصباح رأيت الماء متجمداً ، ورأيت قنوات الماء التى تشق أكثر شوارع المدينة مغطاة بطبقة من الثلج تشبه ألواح الزجاج . ثم تشرق عليه الشمس فتذيبها ، ويستمتع الناس مرة أخرى طوال النهار . . .

بل قد تجد فرقاً كبيراً فى مكان واحد ووقت واحد ، فإذا سرت فى الظل أحسست بالبرد ، فإن انحرفت خطوة واحدة بعيداً عن الظل أحسست بالحر . . . حتى قيل إن الفرق بين الصيف والشتاء فى أفغانستان هو خطوة واحدة !

وقد تجتمع الفصول الأربعة معاً . . وذلك على سفوح الجبال الشاهقة . . فنى أدناها الصيف الحار الذى يتصبب منه الإنسان عرقاً . . فإذا ارتقيت على السفح قليلا هبطت الحرارة ورق الجو ،

فكان الربيع برياضه وزهوره . . فإذا نظرت إلى قمة الجبل رأيت الشتاء فى هذه الثلوج التى تكللها طوال العام . . وهكذا يجتمع الصيف والشتاء والربيع معاً ! .

وأحسب أن هذا التفاوت الكبير فى أجواء أفغانستان ، قد ولد فى أجسام أهلها قوة ومنعة وصلابة ، يقاومون بها برد الشتاء وحر الصيف . . وأن هذه القوة الطبيعية فى أجسامهم ، إلى جانب ما فى بلادهم من الخيرات الموفرة ، هى التى تجعل الأفغانيين يعمرون طويلا . . وقد كان أول ما استرعى نظرى عند ما دخلت أرض أفغانستان أننى رأيت أغلب الناس شيوخاً معمرين ، تتدلى على صدورهم لحى شائبة بيضاء ! ومع هذا يسيرون مسرعين منتصبين كالشبان الفتيان ! وما أظن أن فى العالم بلداً تكثر فيه نسبة الشيوخ إلى نسبة الشبان مثل كثرتها فى أفغانستان ! وأظن أيضاً أن بلاد البلقان قد ادعت لنفسها فضلا هو من حق أفغانستان . . فهم يزعمون أن أهل البلقان يعمرون كثيراً . . ويقولون إن رجلا رأى فى إحدى بلاد البلقان شيخاً معمراً يبكى ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال له إن أباه ضربه لأنه شتم جده . . ! وأزعم أن مثل هذا قد يحدث فى أفغانستان لا فى البلقان ، فمتوسط عمر الأفغانى خمس وسبعون سنة ! ولهذا لم أعجب حين رأيتهم يبكون رجلا مات فى السبعين مثلما نبكى فى مصر من يموت فى ميعة الشباب ! .

ولعل من أدلة طول العمر فى أفغانستان أنها هى الدولة الوحيدة التى اجتمع فيها الأب والابن فى مجلس الوزراء ! فقد ترى فى البلاد الأخرى أبا وابناً عضوين فى البرلمان ! أما فى أفغانستان فقد صار الأب وزيراً للعدل ! والابن وزيراً للمالية ! فى وزارتها الحالية .

وبعد ! فأرجو أن أكون قد أبرزت بعض نواحى الجمال فى أفغانستان ! فى سويسرا آسيا ! وأحسب أن المرء إذا كان قلبه سليم النبض ، ودمه عادى الضغط فلا يتأثر من ارتفاع كابل التى تعلو على سطح البحر زهاء ألف وثمانمائة متر ! والتى تعد أعلى عاصمة فى العالم . . وإذا كان لا يعنيه كثيراً أن يحرم من تلك الملاهى والليالى التى ألفناها ... فإنه سيرى فى أفغانستان بلداً من أجمل بلاد العالم ! بل بلداً تمر مشاهده الرائعة أمام عينيه كما تمر الأحلام والرؤى الجميلة فى خيال الشاعر السارح . .

ولعلك بعد هذا تريد أن تزور أفغانستان . . ولكن مهلا . . فبينك وبينها خرط القتاد !

وخرط القتاد هنا هو ممر خيبر !

وما أدراك ما ممر خيبر ؟ ! . .إن لهذا قصة أخرى أرجو أن تقرأها قريباً ! .

أفغانستان فى الميدان الدولى

بقلم محمود صابر

وهذا مقال آخر لكاتب مصرى يتحدث فيه عن أفغانستان حديث الخبير العارف ، هو الأستاذ محمود صابر

لقد آن للشعب الأفغانى — ذلك الشعب الباسل الرابض وراء أمنع درع من جبال شم ما إلى اختراقها من سبيل ، ذلك الشعب المتدين إلى أبعد حدود التدين ، المتفانى فى الدفاع عن استقلاله تفانياً ظل مدى الأجيال مضرب الأمثال ، ذلك الشعب الخشن الذى اتخذ العمامة شعاراً فشرفها كما شرفته ورفع من قدرها كما رفعته — لقد آن لذلك الشعب القديم النبيل الذى قضى الدهر منكمشاً عن جيرانه ، وراء جدرانه ، أن ينهض أفراده نهضة الأسد يتطلع إلى ما وراء العرين ، وأن يدرك قادته أن العزلة التى لزموها منذ القدم لم تعد السياسة المثلى التى يجب أن يسيروا على نهجها فى مقبل الزمن .

ولن نجد دليلا أقطع على نهضة الأفغان عقب الحرب العظمى نهضة مفاجئة ، من رؤيتها وهى تنتظم فى عداد الدول المجتمعة حول هيئة الأمم المتحدة .

ولا تحسبن دولة الأفغان على انكماشها هذا دويلة ضيقة الشقة

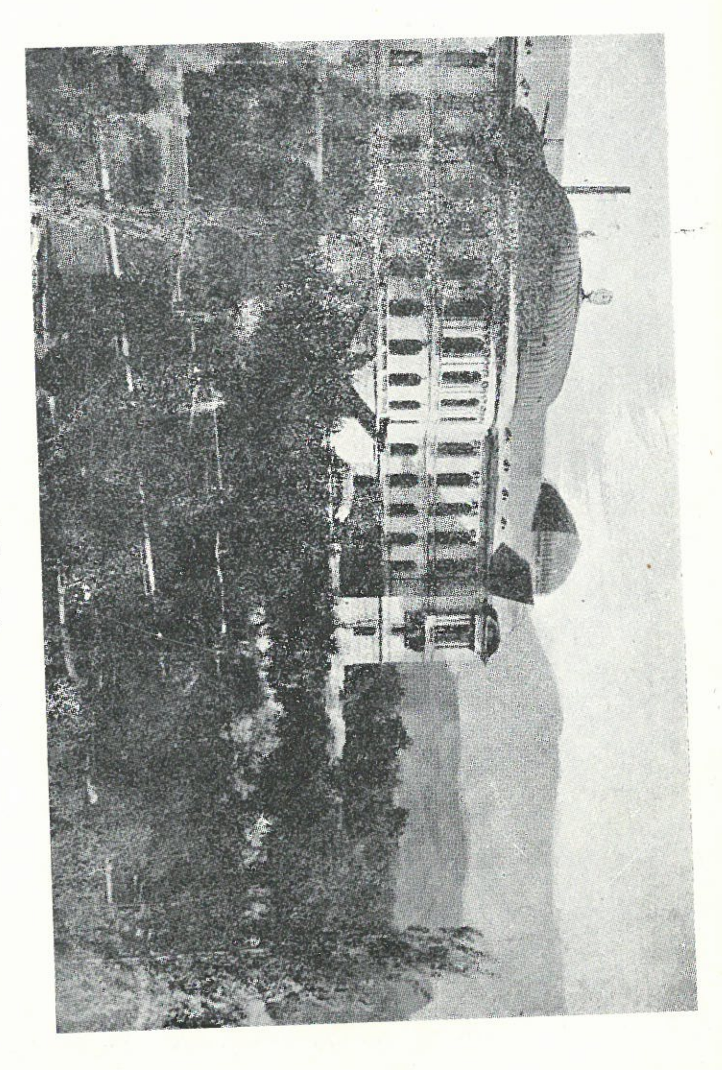
صغيرة الحجم ، فإن مساحتها تربى على مساحة فرنسا ونصفها معها . ولقد ظلت دولة الأفغان مدى عهدين متتاليين حاجزاً قائماً على الحيدة المطلقة بين الهند البريطانية وروسيا السوفياتية .

بعد جلاء بريطانيا من الهند :

وعندما تأذن الساعة التى تنمحى فيها السيطرة البريطانية عن الهند نهائياً ، لن يتبقى لدولة الأفغان إلا جار واحد شديد المراس قوى البأس ، هو الاتحاد السوفياتى ، ولكن إذا حدث يوماً أن ترامى إلى أسماع أحد من الأفغانيين أدنى إشارة إلى أن ذلك الجار القوى الجبار سيحاول أن يدخل الدولة الأفغانية فى منطقة نفوذه توطئة لإيقاع الهند بعدها فى قبضته الحديدية ، أجابوك جميعاً بلسان واحد وبتصميم واحد : «هذا محال » .

دعائم النهضة :

ويعتلى عرش الأفغان الآن الملك ظاهر شاه ، وهو شاب فى زهرة الصبا لا يكاد يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر ، صبوح الوجه ، قوى العضلات ، ذو غرام خاص باقتناء المخطوطات الشرقية القديمة ، وهذا الملك الشاب عطوف على أسرته ، وله ابنان وبنتان ؛ والشعب الأفغانى الشهم يحب ملكه حباً جماً .



جانب من البرلمان الأفغانى وحدائقه الغناء

النظام البرلمانى :

ولا تتبع دولة الأفغان بعد نظام الأحزاب السياسية الذى يتبع فى غيرها من الدول ؛ ولكن مجلس وزرائها مع ذلك مسؤول أمام برلمان، ينتخب على الأسلوب الإنجليزى ويعقد جلساته مدى ستة أشهر، من كل عام. والبرلمان الأفغانى بناء ضخم جميل شيد على الطراز الحديث على أحد جانبى حدائق الورد الغناء المشهورة فى كابل، وقد قام على الجانب الآخر القصر الملكى العظيم — وفى حالات الطوارىء يدعو الملك إلى جلسة استثنائية أعضاء المجلسين ورؤساء القبائل جميعاً .

عوائق التقدم :

وتنحصر سياسة الحكومة الأفغانية فى إنماء الصناعات فى أرجاء البلاد إنماء متواليا دؤوبا حتى تبلغ بالأفغان إلى مرتبة اقتصادية تكاد تتساوى وسائر الدول الأوربية ، على أن ثمة عوامل تعوق هذا التقدم وهى :

١ — قلة المال .

٢ — نقص المواصلات من سكك حديدية وطرق عامة وغيرها .

٣ — عدم تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية فى دخول البلاد .

فى عهد الملك ظاهر شاه :

ويحرص الملك الشاب ظاهرشاه وعمه الأمير شاه محمود خان ألا يرتكبا نفس الخطأ الذى ارتكبه الملك — أمان الله — الذى خلع فى عام ١٩٢٩ والذى كان قد جال جولة عظيمة فى أرجاء أوربا ثم عاد إلى دولته وحاول أن ينفذ بالقوة تلك الآراء الحديثة التى صادفها فى أثناء تجواله ، فغضب رجال القبائل الأفغانية إذ ترامى إليهم أن النساء سيرتدن المحافل سافرات ، واشتد الغضب اشتداداً لم يهدىء من سورته إلا رحيل الملك أمان الله مخلوعاً إلى إيطاليا .

الإصلاح والتعليم :

وقد أخذ جلالة الملك ظاهر شاه وعمه الأمير يواليان إدخال الإصلاح فى البلاد فى يسر وبطء ؛ وحسبنا دليلا على ذلك أن مدارس الدولة الأفغانية كانت قد هدمت كلها فى ثورة عام ١٩٢٩ . وفى الأفغان الآن ما يربى على ٨٠٠ مدرسة . والتعليم الابتدائى إجبارى فى الدولة لجميع الأطفال بين الثامنة والرابعة عشرة ، وهناك مدارس ثانوية عديدة فى أغلب المدن الكبرى ، كما أن هناك جامعة فى كابل ، وهذه المعاهد الدراسية كلها إنما تعد النشء الأفغانى للغاية الجلى التى يصبو إليها الملك الشاب وهى إدماج خير ما فى الشرق وخير

ما فى الغرب فى صعيد واحد ، دون أن يجعل إلى شرور المدنية الحديثة ومساوئها سبيلا إلى بلاده ؛ وفى الحق لقد نجح فى ذلك أبعد نجاح ، فليس فى أفغانستان كلها مرقص واحد ولا أماكن للهو والفساد التى انتشرت فى غيرها من البلاد أوسع انتشار وأضره وأقبحه .

جامعة كابل والتعليم الدينى :

وينبغى أن ننوه هنا بما لجامعة كابل من العظمة والاتساع ، فنقول إن بها كليات للعلوم وللطب على جميع أنواعه ، وللعلوم السياسية والاقتصادية وللقانون والآداب ؛ والحكومة الأفغانية دائبة على استكمال جميع فروع هذه الجامعة حتى تضارع أشهر جامعات أوربا وأمريكا .

وتهتم الدولة الأفغانية أشد الاهتمام بالتعليم الدينى وباللغة العربية ، وتكاد تشبه معاهدها (وتسمى دار العلوم الشرعية) القسم النظامى فى الجامع الأزهر ؛ وعدا هذا يوجد فى كل قرية من القرى مسجدها الذى هو فى الواقع — عدا كونه مكاناً للعبادة — مدرسة صغيرة يتولى الإمام فيها تعليم طلبة القرية العلوم الدينية والدنيوية الضرورية .

كيف تنفذ المشروعات :

والذى يلفت النظر فى هذا المقام ويحدو بالألسنة على أن تلهج بالثناء على هذا الشعب الشرقى الناهض ، أن نسمع بأن من العادات

الشائعة فيه أن يجتمع سراة كل قرية من تلقاء أنفسهم ويقوموا بجمع التبرعات اللازمة لإنشاء جامع القرية ومدرسته ويقدموها للحكومة لكى تتخذ من إجراء ما تراه لتنفيذ هذا البرنامج العملى الوئيد العظيم .

تعليم البنات :

ولما كانت أفغانستان لا تزال إلى الآن تتبع سياسة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وهم يعتقدون أن المرأة حرم مقدس يجب أن يصان عن الأسماع والأنظار، فقد استنت الحكومة نظاماً خاصاً لتعليم الإناث قسمته إلى أنواع ثلاثة ليواجه جميع الحاجات .

على الفطرة :

على أننا مع هذا كله يجب أن لا ننسى أن أمة الأفغان لا يزال فيها قوم يعيشون على الفطرة، وهم بدو رحل ينصبون خيامهم وبيوتهم حيث يجدون مرعى خصبا لإبلهم وماشيتهم . ويتجرون فى أسواق عتيقة طال عليها القدم، بل لعلها أقدم ما فى آسيا كلها من أسواق . ولا تزال تعرض فيها إلى الآن تلك البضائع التى اجتذبت إليها الرحالة الشهير (ماركوبولو) منذ أكثر من سبعمائة عام .

أفغانستان بعد الحرب :

ولنعد إلى دولة الأفغان مرة ثانية ولنحاول وصف حالتها بعد الحرب الأخيرة فنقول :

لقد تركت الحرب العالمية الثانية خزانة الدولة الأفغانية عامرة بمبلغ كبير من المال . ولكن الحرب نفسها كانت حائلا دون الاستيراد، وإن ظل تصدير الجلود والصوف والسجاد والقطن مستمرا إلى حد ما، وأكبر الدول استيرادا للبضائع الأفغانية هى الولايات المتحدة .

ويوجد الآن فى الجزء الشمالى من الأفغان مصنعان كبيران للنسيج . وتدأب الحكومة على استخدام فائض الميزانية فى تشييد المصانع وفى الانتفاع بموارد البلاد الطبيعية التى يقال أنها تحتوى على البترول والحديد والنحاس والرصاص والذهب والفضة والكبريت ، ويوجد أيضاً مهابط عظيمة للمياه يمكن تسخيرها فى توليد الكهرباء بمقدار هائل .

لا معونة من أجنبى :

ويأبى الأفغانى الواثق من نفسه الشاعر بنبله وبأسه فى علو وكبرياء أن يلتمس معونة أجنبى . وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن فى عنق الأمم العظمى الموسرة واجباً أدبياً أن تبادر إلى معاونة الأمم الصغرى التى

تقل عنها مالا وعلما وحضارة . ولكنه يحجم فى الوقت نفسه عن أن يتنزل
عن أية امتيازات اقتصادية لأية دولة من الدول الأجنبية مقابل تلك
المعونة التى ينادى بوجوب تقديمها !

وليس يسع أبناء وادى النيل فى هذا المقام إلا أن يقدموا إلى دولة
الأفغان وعلى رأسها جلالة ملكها العظيم العادل . أطيب التمنيات بأن
تمضى فى طريق الرقى مضيا ثابتاً قوياً لا تقف دونه عقبات سياسية ولا
ألاعيب أجنبية ؛ وأن لأختنا الشرقية النبيلة التى ضربت برسوخ
إيمانها فى عقيدتها وفى استقلالها أروع الأمثلة — لها فى مصر
وفيما قاست ولا تزال تقاسى من تلك الألاعيب لعبرة وذكرى .

محمود صابر

منطقة النزاع بين أفغانستان وباكستان

إقليم الحدو الشمالية الغربية ، هو آخر إقليم ضم إلى الامبراطورية
الإنجليزية الهندية غدراً واغتصاباً ، فقد كان هذا الإقليم إلى ما قبل
ستين عاماً جزءاً من أفغانستان ، فأثار الإنجليز فيه الفتن والقلاقل ،
ثم انتهزوا فرصة التجاء شاه شجاع الملك المخلوع إليهم فعقدوا معه
معاهدة تنازل فيها عن هذا الإقليم مقابل أن يمده الإنجليز بالأموال
والأسلحة والرجال ، وفعلا غزا وطنه بجيش إنجليزى جرار ، استولت
به إنجلترا على أفغانستان ، وعينت فى الأقاليم التى أخضعتها حكاماً
من الإنجليز ، لكن الشعب الأفغانى الحر كان بالمرصاد ؛ فما نشرت
بنود المعاهدة التى عقدتها إنجلترا مع ذلك الخائن حتى هب هبة رجل
واحد فهاجم الجيوش الإنجليزية فى كل مكان وقضى عليها
وأعدم الخائن شاه شجاع الملك ، إلا أن هذا الإقليم بقى فى يد
الإدارة الإنجليزية ، وكانت أفغانستان دائمة التنبه إلى حقوقها فيه
فى كل مناسبة ، كما كانت إنجلترا تحكم هذا الإقليم حكماً مخالفاً
لبقية الأقاليم فى الهند ، محافظة على كيان أهله وشخصيتهم ، وكان
حكامها يتعلمون اللغة الأفغانية حرصا على شعور السكان الأفغانيين
وليس بصحيح أن أفغانستان كانت راضية عن استيلاء الإنجليز

على ذلك الإقليم ؛ فقد أثارت أفغانستان هذه المشكلة القائمة بينها وبين إنجلترا منذ أكثر من خمسين عاماً ، وقبل أن تترك إنجلترا الهند ، طلبت رسمياً من إنجلترا تسوية المشكلة ما دامت هى ستتخلى عن الهند إلى دولتين ، حتى لا ينتقل النزاع بينها وبين الدولة الجديدة ؛ فاعترفت إنجلترا بالروابط الوثيقة التى تربط أفغانستان بهذا الإقليم ، ووعدت بمنحه الحكم الذاتى محافظة على كيانه وشخصيته ، ولكنها كعادتها تركت المشكلة تنتقل إلى ما بين الشقيقتين ، وكان لا بد لأفغانستان أن تدخل فى مفاوضات مع الحكومة الباكستانية بشأن ذلك . وقد سارت المذاكرات بين الدولتين الشقيقتين سيراً طبيعيا ، وتقدمت كثيراً فى حياة المغفور له القائد الأعظم السيد جناح ، ولكن الحكومة الباكستانية تنكرت لأفغانستان بعد وفاة القائد الأعظم وغيرت سياستها وأعلنت عدم ارتباطها بما يحفظ لذلك الإقليم كيانه وشخصيته .

ولم يكن الاستفتاء الإنجليزى فى هذا الإقليم استفتاء حراً، فقد خير السكان بين الانضمام إلى باكستان أو هندستان؛ والإحصائيات الرسمية للاستفتاء تثبت أن الذين أعطوا أصواتهم فى الاستفتاء لا يزيدون على النصف فى المائة من سبعة ملايين ؛ وقد احتجت أفغانستان من أول الأمر على نوع ذلك الاستفتاء، وطلبت رسميا من إنجلترا أن يكون الاستفتاء حراً ، بأن يطلب من السكان إبداء رأيهم فى مستقبلهم دون أى تقيد بالانضمام إلى هذا أو ذاك ، ولكن إنجلترا نفذت سياستها

الخاصة ؛ وإن أفغانستان لمستعدة إلى اليوم أن تجرى هيئة عربية إسلامية استفتاء حرا فى ذلك الإقليم بعيداً عن كل ضغط ، على أن تسليم بنتيجة هذا الاستفتاء دون اعتراض ، فلماذا لا ترحب باكستان بهذا الرأى ؟ إنه إن كانت الأغلبية فى ذلك الإقليم من أنصار الانضمام إلى باكستان، فلماذا تخشى باكستان هذا الاستفتاء الحر؟

إنه خير لباكستان الدولة المسلمة أن يسلم حكامها لإخوانهم المسلمين بحقوقهم ، وأن يجعلوا من كافة المسلمين سندا لهم . والعالم الإسلامى يعرف أفغانستان وتاريخها المشرف ضد الاستعمار ، وخير للمسلمين أن يزول الجفاء بين الدولتين الشقيقتين وأن تسوى الخلافات بينهما، وعسى أن تتغلب الحكمة ومنطق الأخوة الإسلامية على حكام باكستان فى معالجة المشاكل القائمة بين بلادهم وبين أفغانستان قبل استفحال الأمر وفوات الأوان .

إن الحكومة الأفغانية قد اجتنبت التصادم مع باكستان، ولم تزل توصى الأفغانيين بالهدوء والسكينة ، مع أن إحدى طائرات باكستان قد ألقت قنابلها يوم ١٢ يونيه ١٩٤٩ على (مغولكى) داخل أراضى أفغانستان ، فقتل وجرح عدد كبير .

ولقد أذاعت وزارة خارجية باكستان فى ٢٣ يونيه ١٩٤٩ بلاغاً رسمياً أنكرت فيه اعتداءها الأثيم على المسالمين فى « مغولكى » واقترحت تأليف لجنة مشتركة لبحث ما حدث ، وضللت الرأى العام بقولها.

لقد ذهبت هيئة دولية مكونة من الملحقين الحربيين لسفارتى الهند وأمريكا والممثلين الرسميين للسفارات التركية والإيرانية والبريطانية والفرنسية والمفوضيات المصرية والعربية السعودية والأردنية الهاشمية والإيطالية إلى مدينة « خوست » على متن أحدى الطائرات الأفغانية فى صباح يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٩ ومنها ذهبوا إلى « أزاركى » بالسيارات ثم إلى « مغولكى » على الخيول ، وكان يرافق حضراتهم سعادة رئيس أركان حرب الجيش الأفغانى ، وعضوان من البرلمان الأفغانى ، ومندوب وكالة (باختر) للأنباء الأفغانية ، فشاهدوا آثار الغارة الباكستانية ، ثم اتجهوا إلى أعلى تل فى (مغولكى) فوجدوا أنها على بعد كيلومترات من خط الحدود .

وكذلك وافقت الحكومة الأفغانية على اقتراح باكستان تكوين لجنة مشتركة ، فوصل الوفد الباكستانى برئاسة معالى عبد الرب نشتر وزير المواصلات يوم ١٩٤٩/٧/١٨ إلى كابل ، وكان يرأس الوفد الأفغانى معالى محمد كبير خان وزير الفوائد العامة ، وقد ذهبوا جميعاً يوم ١٩٤٩/٧/١٩ إلى « مغولكى » ثم عادوا إلى « كابل » بعد المعاينة وتألفت هيئة تحقيق مشتركة ذهبت إلى « ميرانشاه » قاعدة السلاح الجوى الباكستانى فى إقليم الحدود الشمالية الغربية ، وحققت مع الطيار المعتدى ، فاعترف بإلقائه القنابل على « مغولكى » إلا أنه اعتذر بجهله خط الحدود ، وأنه كان يظن نفسه داخل أراضى إقليم الحدود الشمالية

الغربية ، ثم رجعت هذه الهيئة المشتركة إلى « كابل » ، فقدم الوفد الباكستانى اعتذار حكومته لما حدث ، وأبدى استعدادها لدفع التعويضات اللازمة . وهكذا ثبت للعالم أن الاعتداء على أرض أفغانية لم تكن من نسج خيال الحكومة الأفغانية .

لقد كتب الكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب فى مقالة بمجلة مسامرات الجيب يوم ٢٦ يونيه ١٩٤٩ تحت عنوان « مصر والعالم » ما يأتى :

« نريد باكستان وأفغانستان جارتين إسلاميتين مستقلتين ذاتى سيادة ، ونحن نرجو من الأعماق أن تعرج أمثال هاتين الشقيقتين فى مراقى العظمة عروجاً دائباً لا ينقطع . . . ومن أسباب عظمتهما أن يستتب بينهما الأخاء الحميم والحب العميق ، فليس فى البلاد الإسلامية داء أودى بمجدها كداء التنافر والتحاسد والخصام . آه لو اتحدت دول العروبة والإسلام ... إذن لكانت قوة عالمية يحسب لها حساب أى حساب »

وإن الشعب الأفغانى ليؤمن بما يؤمن به الأستاذ دياب المخلص للإسلام والعروبة ؛ فهل اطلع على آرائه رجال باكستان الذين اعتدوا بطائراتهم على حرمة جارتهم المسلمة ولا يزالون يدبرون المؤامرات ضدها ؟ .

لقد ألقى حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » ملك أفغانستان خطاب العرش فى افتتاح البرلمان أوائل يوليه ١٩٤٩ الذى جاء فيه « أن سياسة حكومتنا الخارجية مبنية على احترام الحقوق الدولية

ومبادئ هيئة الأمم المتحدة وبذل كل الجهود للمحافظة على السلام العالمى.

«وعلاقاتنا مع إخواننا الدول الإسلامية واشتراكنا سوياً فى حل المشاكل الدولية قد تقدمت والحمد لله تقدماً كبيراً، ولكن بعض رجال باكستان قد فسروا رغبات حكومتنا تفسيراً خاطئاً، ثم وضعوا عقبات كبيرة ضد تجاراتنا الخارجية؛ ويؤسفنا أن نقول إن علاقاتنا معها غير أخوية، ولا سيما بعد اعتداء طائراتها على أراضى بلادنا المسالمة؛ إننا حريصون على صداقة جارتنا المسلمة، ولكن لا يمكننا غض الطرف عن رغبات إخواننا الأفغانيين فيما وراء خط « ديورند » فنحن مسئولون عن رخاء أولئك الإخوان وتمتعهم بحقوقهم العادلة ».

وقد اتخذ البرلمان الأفغانى قرارا فى الرد على خطاب العرش جاء فيه:

« إن رغبات جلالة الملك المعظم نحو سلام العالم من واجباتنا الدائمة، ونحن موافقون على سياسة الحكومة المبنية على احترام القوانين الدولية والمحافظة على المبادئ الأساسية لهيئة الأمم المتحدة وحقوق الإنسان

«وإننا متألمون من السياسة العدائية التى يتخذها بعض رجال باكستان، والعقبات التى يضعونها فى سبيل تجاراتنا الخارجية، ولا يعتبر البرلمان نفسه مقيدا بأى معاهدة أبرمتها حكومات أفغانستان السابقة مع الحكومة البريطانية القديمة قبل تكوين باكستان؛ ولذلك فستتعاون مع حكومتنا تمام التعاون فى مقاومة العقبات الاقتصادية التى وضعتها حكومة باكستان، ونقرر أن استقلال جميع إخواننا الأفغانيين من شترال إلى بلوخستان

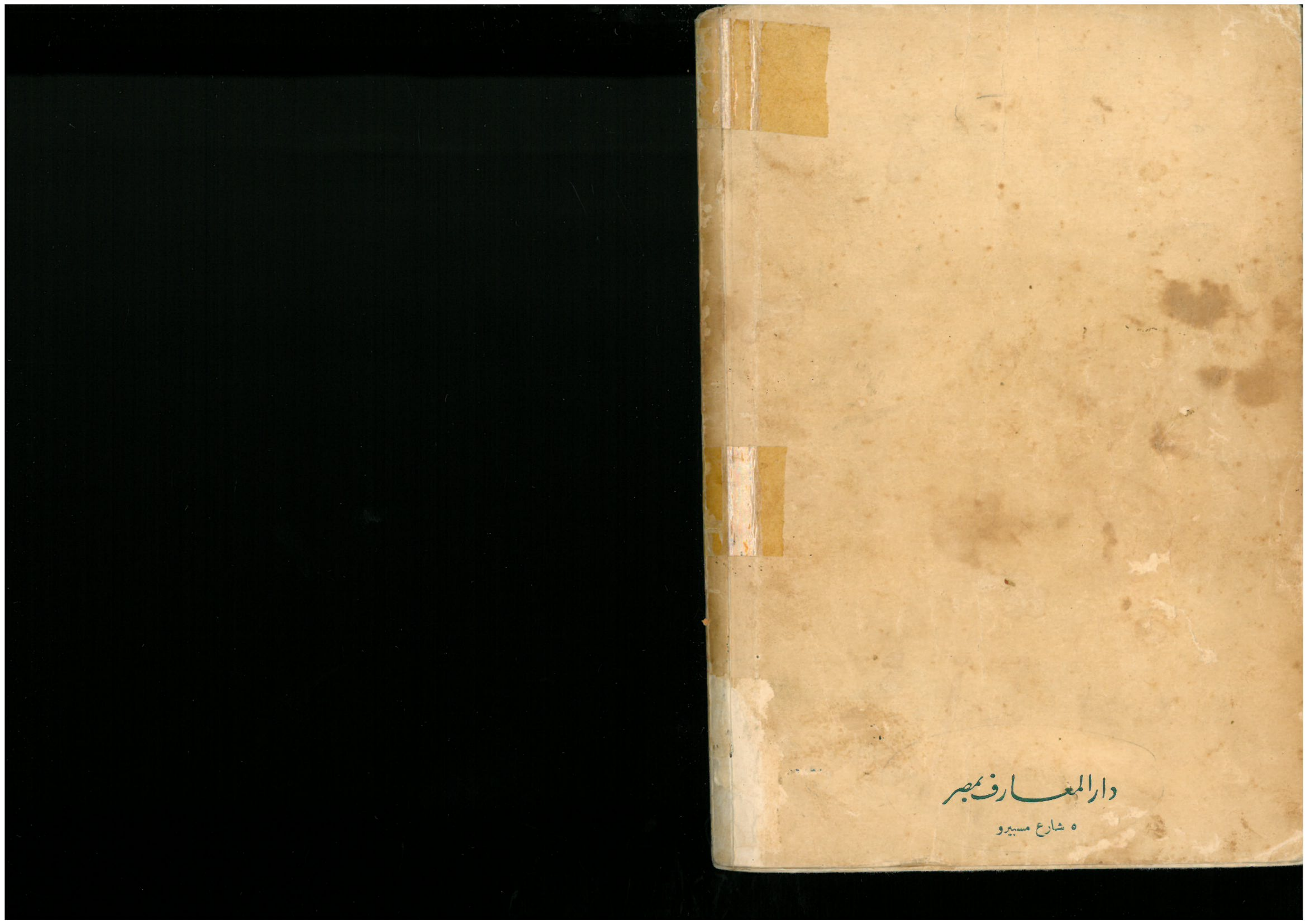
من أهم أمانينا التى لن نتنازل عنها ».

وهكذا فإن النزاع بين أفغانستان وباكستان باق إلى اليوم، ويشتد شهراً بعد آخر؛ فإذا لم تتنازل حكومة باكستان عن كبريائها وغرورها، وإذا لم تمد يدها إلى أفغانستان لحل مشكلة إقليم الحدود الشمالية الغربية بما يحفظ له شخصيته الخاصة وحقوقه المشروعة، فستترتب على ذلك نتائج سيئة بالغة الخطورة.

إن أفغانستان تريد أن تعيش فى سلام وأمان، وأن تكون علاقاتها مع جارتها باكستان أخوية وثيقة متينة.

وفضلا عن مشكلة إقليم الحدود فمن حق أفغانستان أن تطالب بحقوق وضمانات لتجارتها من حيث التصدير والاستيراد؛ فهى حياتها وعليها تتوقف كل مشروعاتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، ولا بد لها أن تسير فى موكب المدنية الذى يشترك فيه العالم كله.

كما أن أفغانستان لا تستطيع السكوت على قضاء حكومة باكستان على كيان شخصية سبعة ملايين من الأفغان فى إقليم الحدود الشمالية الغربية، فروابط الدم واللغة والعادات وقربى النسب والمصاهرة والمصالح المشتركة، تفرض عليها أن تطالب وتلح فى منح هؤلاء حقوقهم التامة الكاملة والضمانات الكافية لعدم الاعتداء على كيانهم الخاص وشخصيتهم المستقلة فى المستقبل.


دار المعارف بمصر
٥ شارع مسبيرو